Ya'qub, Antun.



Misr al-Hadithah.

او

مصر في ثلاث سنين

« رسالة تاريخية سياسية تتضمن كثيراً من الحوادث الهامة التي جرت في وادي النيل ابتداء من عام ١٩١٤ حتى نهاية ١٩١٦ وما سببته الحرب الاوربية في مركز مصر السياسي وغير ذلك مما يهم كل مصري الاطلاع عليه »

بقلم

انطون يعقوب

مطبعة جرجي غرزوزي بالاسكندرية

سنة

١٩١٧





المؤلف

اهداء الرسالة

الى كل منصف مستنير من ابناء مصر وغير ابنائها
اهدي رسالتي هذه ويقيني انها تقع لديهم موقع القبول

المخلص

انطون يعقوب



صاحب الجلالة البريطانية

جورج الخامس

ملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند

صاحب العظمة السلطان الكامل

حسين الاول

سلطان مصر



مقدمة

في اوائل عام ١٩١٤

ما انبثق فجر اليوم الاول من عام ١٩١٤ حتى شعر العالم بما كانت تخبئه له الاقدار ، وقد ابتدأت الغيوم تتلبد في جو مصر الصافي الجميل فتحوله تارة الى لون ينقبض له الصدر ، وأخرى الى حال تدعو الى الارتياح والصبر معاً ، وقد كانت البلاد وقتئذ تسير في وسط ازمات سياسية اثارها بعض المشاغبين من ابنائها والخارجين عنها ، ومع كل ذلك فكانت حكومة البلاد منهمكة في وضع نظام دستوري طالما نشده الكثيرون للسير في طريق الرقي الادبي والاقتصادي كافلاً براحة الاهلين ضامناً لسعادتهم ونعني بذلك الغاء الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين واستبدالهما بالجمعية التشريعية ، فكان من جراء ذلك ان تسابق عظماء الامة وقادتها للحصول على كراسي ذلك البرلمان المصري المنشود ، وما هي الا بضعة شهور حتى



صاحب الدولة وزير مصر الاكبر

حسين رشدى باشا

رئيس مجلس الوزرآء

كان يوم ٣ ابريل سنة ١٩١٤ حيث حدثت ازمة وزارية كانت نتيجتها إحلال الوزارة الرشدية مكان الوزارة السعيدية ، واعقب ذلك سفر امير البلاد اذ ذاك الى عاصمة ملك آل عثمان كعادته السنوية وتنصيب دولة كبير الوزراء قائماً مقام الامير فقبض على ازمة الشؤون السياسية والادارية في البلاد بهمة لا تعرف الكلل واظهر حنكة في ادارة الامور اعجب بها القاصي والداني واجمع الرأي العام على اختلاف مشاربه على ان دولة الوزير خير من عرف كيف يسوس الامور بالمهارة التي تتطلبها البلاد في ذلك الحين

وبينما الحال كما ذكرنا اذ قد نقل البرق خبر اعتداء بعض الشبان على شخص الامير في احدى شوارع الاستانة فاهتزت البلاد لهذا الخبر وتساءل القوم هنا وهناك عما حدا بذلك الشاب المعتدي الى ارتكاب هذا الجرم ، ولا تسل عن اهتمام الحكومة وقتئذ بهذا الحادث واستجلاء غوامضه فاخذ ولاة الامور يحققون ويدققون اياماً ـ وما كادوا يصلون الى نقطة فاصلة حتى انفجر بركان هذه الحرب الضروس ، والى

هنا نرجع بالقاريء الكريم الى سلسلة وقائع تاريخية قبل ذلك لا بد من اطلاعه عليها :

مصر قبل الاحتلال الانجليزي

قيض لمصر ان تستقبل عهداً جديداً على يدي ذلك البطل الخالد الذكر رأس الاسرة الخديوية « محمد علي باشا » يكون ختاماً لعهد المماليك الممقوت وباكورة مستقبل مجيد ، دخل ذلك الرجل الكبير مصر والفوضى ضاربة اطنابها والجهل ناشر خيامه في عام ١٨٠٥ للميلاد ، ولم يكد يمضي على ولايته مصر خمسة اعوام حتى غيّر في انظمتها وبدّل في شؤونها وأصلح ما افسدته يد الطغاة المماليك ، وقد كان الرجل على جانب وفير من حدة القلب وبُعد النظر ، فعلم ان حياة الامم لا تقوم الا على العلم ، فارسل الى عواصم اوروبا ابناء المماليك والاتراك في عام ١٨١٦ ميلادية ثم اردفهم بابناء المصريين لتعلم مختلف العلوم والفنون ، فخص بعضهم بدرس

الفنون الحربية وثلة منهم بالعلوم الهندسية واخرين بالعمارات البحرية والملاحة والنظام الاداري والطب الى غير ذلك

ولما عادت بعثاته العلمية من بلاد الغرب فتح نحواً من عشرة مدارس ابتدائية ومدرسة للطب ومدرسة للحربية ومدرسة للطب البيطري ومدرسة للمهندسين وانشأ معامل لصنع المدافع وسائر ادوات الحرب وترسانة في الاسكندرية وبنى حصوناً كثيرة منيعة حول هذه المدينة وسائر الثغور المصرية ، وقد قام بكل تلك الاعمال في ما بين عام ١٨٢٤ — ١٨٣٤ وسار التعليم فيهن على نحو التعليم الفرنسي ، وفي عام ١٨٣٦ انشأ مجلساً للمعارف وصلت بفضله عدد المدارس الابتدائية الى خمسين وشيدت كذا في عهده مدرسة ثانوية ومدرسة للزراعة واخرى للمحاسبة وغيرها للترجمة ومعهد للفنون والصنائع وشاد في باريس مدرسة عالية كان رئيسها مصرياً ، ولكن مما يسوء ذكره ان درجة نشر التعليم لم تكن بدرجة مناسبة وذلك لشدة تأخر البلاد وقتئذ ، فقد كان الفلاح المصري يخشى المدرسة ويبغضها بغضه للخدمة العسكرية رغم التسهيلات والفوائد



بطل النهضة الكبرى في تاريخ

مصر

﴿ المغفور له محمد على باشا ﴾

رأس العائلة السلطانية المصرية

التي كانت تعود عليه من جراء التعليم ، ثم انشأ جريدة « الوقائع المصرية » ومطبعة في بولاق لطبع الكتب والمؤلفات والفنون على اختلافها — ورأى محمد علي ان ينهض بالبلاد الى ذروة المجد والرفعة من الوجهة الاقتصادية فعمد الى احتكار الزراعة والتجارة والصناعة وادخل زراعة القطن في الوجه البحري عام ١٨٢٣ وجاء بمختلف الاشجار والاثمار والحبوب والبقول والازهار ، ورأى ان نجاح الزراعة لا تقوم الا بتوفير مياه الري فانشأ نحواً من ٤٠ ترعة ، وكانت الاراضي الزراعية في اوائل ولايته لا تتجاوز مليوناً من الافدنة ولكنه بعد أن نظم وسائل الري وانشأ القناطر الخيرية عام ١٨٣٤ بلغت مساحة الاراضي المنزرعة اربعة اضعاف ما كانت عليه ، ثم بنى للسفن التجارية مرفأ في الاسكندرية وحفر ترعة المحمودية وسماها كذلك نسبة الى السلطان محمود فسهل بذلك المواصلات التجارية بين النيل والبحر الابيض المتوسط

وتولى بعده ولده الاكبر ابراهيم فقد كان رجل حرب فانصرف بكلياته وجزئياته الى قيادة الجيوش والفتح الى آخر

ما جاء في التاريخ ، وجاءت بعدهما ازمان انحط فيها شأن التعليم وساءت الادارة وارتبكت مالية البلاد وساءت حال الفلاح واثقلت كاهله الضرائب وتحكم النفوذ التركي في البلد وتجلى الظلم والاستبدادفتعسف الحكام وجار الموظفون وكان جلهم بل كلهم من الاتراك والجركس الاغبياء الجهلاءفذهبت معالم العمران التي كان قدوضع اسسها محمد علي الكبيرووصلت الى حال من الفوضى والخلل والانحطاط انتهت بالثورة العرابية المشهورة ، ولو ان الثورات عمل همجي مستنكر الاّ ان الثورة العرابية انبثقت عن فجر عهد جديد جعل للانجليز يداً في ادارة هذه البلاد واصلاح ما فسد من شأنها كما ترى ذلك في ما يلي :



مصر في عهد الاحتلال الانجليزي

لا ريب ان مصر اخذت قسطها من العمران الادبي والاقتصادي في خلال الثلاث وثلاثين عاماً التي قضاها الاحتلال البريطاني في هذا الوادي الخصيب ، فقد كانت مساحة المنزرع من الاراضي المصرية قبل عام ١٨٨٢ لا يتجاوز اربعة ملايين ونصف من الافدنة . اما الان فقد تحولت الاراضي البائرة في عدة اقاليم الى غياض ومزارع تأتي بالمحاصيل الوافرة حتى بلغت ايرادات الحكومة تسعة عشر مليوناً من الجنيهات في احدى السنوات ونظمت طرق الري بحيث اصبحت مساحة المنزرع من الاراضي البائرة نيف ومليون ونصف من الافدنة وسهلت طرق الملاحة بنظام اوفى واكفل وكذلك كان نصيب الاراضي الزراعية من المستنقعات الواسعة هنا وهناك وافراً جداً وبذلك ازدادت ثروة البلاد ازدياداً باهراً وارتفعت قيمة الاراضي ارتفاعاً لم يكن في الحسبان . هذا ولا تسل عن النظام الاداري والقضائي الذين كانا على درجة من الانحطاط كبيرة

فاصبح بفضل الاصلاحات المطردة بالغاً مستوى النظامات الراقية التي توجب الاعجاب بحسب ضمانتها لراحة السكان وملاءمتها لاخلاق الاهلين . ثم اضف الى ذلك ما وصل اليه التعليم الفني والصناعي الى العلاء وبلوغه اوج الكمال . فقد نبغ من ابناء البلاد القضاة والمهندسون والاطباء وبلغت فيه الصحافة شأواً بعيداً لولا ما نهجه البعض من كتابنا من الغلو والتطرف في بعض الاحايين، وبالجملة فانك كلما قلبت الطرف في بلد من بلدان القطر فلا ترى الا عمراناً ظاهراً ونظاماً وافياً آخذاً في الازدياد سواء أكان من جهة الثروة العمومية او الحالة الادارية ام القضائية والعلمية ففي الاولى ترى آثار النعمة والثراء ظاهرين على سيماء المزارعين فلا يشكون قحطاً او استبداداً والمحاكم سائرة على اتم نظام فلا يرهق قوي ضعيفاً ولا سبيل لان يهضم احد حق غيره والمدارس مفتحة الابواب في وجوه الطلاب على اختلاف نحلهم ومللهم وآثار النجابة بادية على وجوههم ، ناهيك عما ادخل على امهات المدن من حسن التنسيق وجمال الابنية فالشوارع مضاءة بالكهرباء تتخللها



المأسوف عليه الفيلد مارشال

﴿ لورد كتشنر أوف خرطوم ﴾

صاحب الفضل الاكبر على مصر ونبيها

ميادين فسيحة وحدائق غناء، وان سرت بين القرى فالسكك الزراعية ممهدة لسير العربات والدواب واسلاك التلغراف والتليفون ممتدة على طول الطرق فلا تحدث حادثة اية كانت في اقصى مكان حتى تكون قد بلغت في الحال لرجال الحل والعقد فتتخذ الاحتياطات السريعة، فان كانت الحادثة جنائية فلا تمضي بضع ساعات حتى تجد رجال النيابة قد وصلوا الى مكان الواقعة واخذوا في التحقيقات ، اوكانت حريقاً مثلا فلا تمضي بضع دقائق حتى ترى مضخات الحريق قد وصلت اليه واخذت في اخماد ثورته قبل ان يستفحل شرها ويعم ضررها وعلى هذه الحال فقد وصلت البلاد الى اقصى حد من الحضارة تحسدها عليه كثير من الممالك الاروبية الصغيرة التي لم تصل الى ما وصلت اليه مصر من الرقي والعمران ، هذا وقد قيض الله لهذا البلد في الخمس سنوات الاخيرة رجلاً حكيماً مدبراً واسع الاطلاع باحوالها وشؤونها واخلاقها فشمر عن ساعده وواصل الليل بالنهار فوضع من جليل المشروعات النافعة ما أطلق السنة اصحاب المصالح الحقيقية بالدعاء والثناء ونعني به

بطل الخرطوم صديق المصريين القديم المأسوف عليه لورد كتشنر الذي لقبه المزارعون بابيهم الشفيق وراعيهم الصالح، وليس عهدنا بقانون الاربعة الافدنة ومنشية عباس في مديرية الغربية ببعيد فكم من عائلات قد اخنى عليها الدهر بكلكله قد انتشلها من هوة الفقر والسقوط فاضحت ترتع في بحبوحة الهناء والرخاء . أضف الى ذلك مشروعي محاكم الاخطاط وحلقات الاقطان الجليلي الفائدة وغير ذلك من المشاريع الاخرى التي لا تقل مآثرها الغراء عما ذكرنا ولا يزال جميع ساكني مصر من اقصاها الى اقصاها يلهجون بذكر ذلك المصلح الكبير الذي طبق ذكرة الافاق لما اشتهر به من العدل والرفق والاحسان على مدى الدهر، فاذا حق لهم ان يبكوه فانما يبكونه بحق لانه ضحى زهرة ايامه في خدمة بلادهم والعمل على رفعتها وتقدمها وعمرانها فقد وصلت بفضله الى درجة لم تكن لها من قبل وانا لنرجو ان تكون لها من بعده على يد امثاله من اولئك المصلحين نبلاء الامة البريطانية خلفه الذين يديرون وسيديرون ازمة الامور فيها الخير والمستقبل المجيد

حقق الله الآمال

ماذا كان يمثله الاتراك

في مصر ؟

بينما كانت الحال كما ذكرنا كان اخواننا الاتراك يمثلون على ارض الفراعنة جملة ادوار محزنه مبكية ، واصحابنا قد اشتهروا بدس الدسائس لا بشأن بلادهم وحكومتهم فقط ، وانما كانت لهم اساليب خاصة في النكايات ببعضهم بعضاً

فمعلوم ان رجال تركيا الفتاة او بمعنى آخر « الحزب الانوري » الذي جلب على الدولة العثمانية الرزايا والمحن واوقعها في هوة الخراب والدمار كما هو مشهور اليوم عند العام والخاص يقابله حزب آخر على النقيض اسمه الجنرال شريف باشا المقيم الان في باريس ، وهو معروف بحزب « الائتلاف الحر » ويرأسه في مصر الميرالاي صادق بك ويعاونه رفيق بك العظم وبعض نفر من طلاب الاصلاح في الدولة كالقائمقام صفوت بك

وغيره من الضباط المغضوب عليهم من الحزب الانوري المشئوم . فالاولون كانوا يعملون على الايقاع بالآخرين بكل الوسائل فكم من حوادث شغلت الاذهان اثارها هؤلاء ضد هؤلاء توجب الاسف والالم — وفي الاثناء ارسلت الحكومة العثمانية في طلب حضرة عزيز بك علي المصري بطل برقه المشهور فسافر ، ولم تمضي بضعة اسابيع حتى نقل البرق خبر محاكمته امام مجلس عسكري بجملة تهم لفقها عليه بعض صنائع انور ورفاقه ، فقامت الامة المصرية بالواجب عليها ازاء ذلك واهتمت الصحافة العربية والافرنجية به اهتماماً كبيراً واخذ القوم يرسلون الرسائل البرقية تلو بعضها في طلب الافراج عنه وتداخل في الامر فضيلة شيخ الجامع الازهر ومفتي مصر ، وبعد ان اصدر انور حكمه على خصمه عزيز بالاعدام تداخلت السفارة الانكليزية بالاستانة في الامر وكانت النتيجة ان صدرت ارادة سلطانية بالعفو عنه فعاد الى القطر المصري في ٢٦ ابريل سنة ١٩١٤ محاطاً بجيش من جواسيس الترك فقوبل على الميناء من عظماء الامة وقادة افكارها بالترحاب

والاحتفاء فيم السفر من الاسكندرية الى القاهرة على قطار خاص وأدت له فرقة من الجنود المصرية التحية اللائقة بمقامه وشهرته الذائعة

ومن ذلك الحين لزم منزله في حلوان وظل هناك بعيداً عن السياسة وشؤونها الى ان قام صاحب الشوكة شريف مكة المعظم وملك العرب الآن في وجه الحكومة العثمانية اخيراً ينشد استقلال بلاده ، فكان ذلك البطل اول من لبى نداء قومه وقام هناك بما يفرضه عليه حق الولاء ورغباته الصادقة في استعادة مجد العرب القديم واستقلالهم المسلوب ، ولا زال هناك متولياً الشؤون الحربية بمهارته المعروفة وبطولته الذائعة الصيت الى اليوم

وحدث بعد ذلك ان قام بعض الطيارين الفرنسويين والانجليز والطليان برحلة جوية الى القطر المصري فوصلوا سالمين ، وبعد ذلك شرع بعض الطيارين العثمانيين في القيام برحلة جوية كرفاقهم من الاستانة عن طريق فلسطين الى مصر فلازم النحس ركابهم لان اثنين منهما قتلا في الطريق فأكمل

الرحلة غيرهما وهما فتحي بك وسالم بك. فوصلا القاهرة واقيمت لهما الاحتفالات واستقبلهما بعض الامراء محتفين بهما احتفاء كبيراً وجمع لهما من المال شيء وفير فعادا من حيث اتيا محملان من مال المصريين ما أثقل جيوبهما وأقر عيونهما وعندما جاءت الحرب انقطع دابرهم وذهبت ريحهم وارتاحت البلاد من اعمالهم!



كيف تغيّر مركز مصر السياسي

ما كادت تشتبك دول اوروبا في الحرب الجائرة التي اثارها طاغية القرن العشرين «ولهلم الثاني» وتعلن في البلاد المصرية الاحكام العسكرية حتى تساءل القوم عما فعل الله باميرهم المقيم على ضفاف البوسفور واخذ البعض يضرب اخماساً لاسداس فراجت سوق الاراجيف والاقاويل فيما يكون من امر الخديوي وهل يعود الى بلاده او يظل بعيداً عنها ، وما زال القوم كذا حتى بدا لانكلترا سوء نيات رجال تركيا نحو مصر وكيف سلموا « ذقونهم » الى اسيادهم الالمان ، واراد الله ان يكشف عن نياتهم ويرفع الستار عما اضمروه لهذه البلاد الهادئة المطمئنة . ففي يوم ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٤ وصل على احدى البواخر القادمة من الاستانة الى الاسكندرية ضابط الماني كان في بوليس مدينة الاسكندرية برتبة ملازم اول اسمه «روبرت موريس» فكان حضوره في تلك الظروف مدعاة الى الشك والريبة في امره فقبضت عليه السلطة العسكرية وباشرت التحقيق

معه فاسفر عن امور لم تكن في الحسبان ومصائب لم تخطر على بال علم بها الجميع في حينها فلا حاجة الى تكرارها في هذا المقام ونكتفي بالقول بان هذا الجاسوس اللئيم كان يحمل معه الى مصر هدية عدو لدود يريد الفتك به والقضاء عليه ، ولكن عناية السماء لاحظت هذه البلاد فردت كيده في نحره ووقع في شر عمله وكانت النتيجة محاكمته امام مجلس عسكرى فقضي عليه بالاشغال الشاقة مدى الحياة ، ومن هذا الحين اخذت الحكومة تتقي شر امثال هذا اللعين بكل الوسائل المشروعة

وفي ٦ نوفمبر سنة ١٩١٤ سافر ثلاثة امراء من العائلة الخديوية الى ايطاليا على احدى بواخر المساجيرو فاقاموا هناك حيث شاءوا — وفي ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ اعلن فخامة السير ادوارد جراي وزير الخارجية البريطانية الحماية على مصر وزوال السيادة التركية ، وفي اليوم التالي لهذا الاعلان صدر اعلان آخر بخلع الخديوي وتنصيب سمو الامير حسين كامل باشا سلطاناً على مصر واليك نص التبليغ الوارد الى الحضرة السلطانية من جناب السير ملن شيتهام متولي اعمال الوكالة البريطانية بمصر :

يا صاحب السمو

كلفني جناب ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى ان اخبر سموكم بالظروف التي سببت نشوب الحرب بين جلالته وبين سلطان تركيا وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير في مركز مصر

كان في الوزارة العثمانية حزبان احدهما معتدل لم يبرح عن باله ما كانت بريطانيا العظمى تبذله من العطف والمساعدة لكل مجهود نحو الاصلاح في تركيا ومقتنع بان الحرب التي دخل فيها جلالته لا تمس مصالح تركيا في شيء ومرتاح الى ما صرح به جلالته وحلفاؤه من ان الحرب لن تكون وسيلة للاضرار بتلك المصالح لا في مصر ولا سواها . واما الحزب الآخر فشرزمة جنديين افاقين لا ضمير لهم أرادوا اثارة حرب عدوانية بالاتفاق مع اعداء جلالته مملين انفسهم انهم بذلك يتلافون ما جروه على بلادهم من المصائب المالية والاقتصادية

اما جلالته وحلفاؤه مع انتهاك حرمة حقوقهم قد ظلوا الى آخر لحظة وهم يأملون ان تتغلب النصائح الرشيدة على هذا

الحزب . لذلك امتنعوا عن مقابلة العدوان بمثله حتى ارغموا على ذلك بسبب اجتياز عصابات مسلحة للحدود المصرية ومهاجمة الاسطول التركي بقيادة ضباط المانيين ثغوراً روسية غير محصنة ولدى حكومة جلالة الملك ادلة وافرة على ان سمو عباس حلمي باشا خديوي مصر السابق قد انضم انضماماً قطعياً الى اعداء جلالته منذ نشوب الحرب مع المانيا

وبذلك تكون الحقوق التي كانت لسلطان تركيا وللخديوي السابق على بلاد مصر قد سقطت وآلت الى جلالته

ولما كان قد سبق لحكومة جلالته انها اعلنت بلسان قائد جيوش جلالته في بلاد مصر انها اخذت على عاتقها وحدها مسئولية الدفاع عن القطر المصري في الحرب الحاضرة فقد اصبح من الضروري الان وضع شكل للحكومة التي ستحكم البلاد بعد تحريرها كما ذكر من حقوق السيادة وجميع الحقوق الاخرى التي كانت تدعيها الحكومة العثمانية

فحكومة جلالة الملك تعتبر وديعة تحت يدها لسكان القطر المصري جميع الحقوق التي آلت اليها بالصفة المذكورة

وكذلك جميع الحقوق التي استعملتها في البلاد مدة سني الاصلاح الثلاثين الماضية . ولذا رأت حكومة جلالته ان افضل وسيلة لقيام بريطانيا العظمى بالمسئولية التي عليها نحو مصر ان تعلن الحماية البريطانية اعلاناً صريحاً وان تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد امير من امراء العائلة الخديوية طبقاً لنظام وراثي يقرر فيما بعد

بناءً عليه قد كلفتني حكومة جلالة الملك ان ابلغ سموكم انه بالنظر لسن سموكم وخبرتكم قد رؤي ان سموكم اكثر الامراء من سلالة محمد علي اهلية لتقلد منصب الخديوية مع لقب « سلطان مصر » وانني مكلف بان أؤكد لسموكم صراحة عند عرضي على سموكم قبول عبء هذا المنصب ان بريطانيا العظمى اخذت على عاتقها وحدها كل المسئولية في دفع اي تعدٍ على الاراضي التي تحت حكم سموكم مهما كان مصدره ٠ وقد فوضت اليَّ حكومة جلالته ان أصرح بانه بعد اعلان الحماية البريطانية يكون لجميع الرعايا المصريين اينما كانوا الحق في ان يكونوا مشمولين بحماية جلالة الملك

وبزوال السيادة العثمانية تزول ايضاً القيود التي كانت موضوعة بمقتضى الفرمانات العثمانية لمدجيش سموكم وللحق الذي لسموكم في الانعام بالرتب والنياشين

اما فيما يختص بالعلاقات الخارجية فترى حكومة جلالته ان المسؤلية الحديثة التي أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعي ان تكون المخابرات منذ الان بين حكومة سموكم وبين وكلاء الدول الاجنبية بواسطة وكيل جلالته في مصر

وقد سبق لحكومة جلالته انها صرحت مراراً بان المعاهدات الدولية المعروفة بالامتيازات الاجنبية المقيدة بها حكومة سموكم لم تعد ملائمة لتقدم البلاد ولكن من رأي جلالته ان يؤجل النظر في تعديل هذه المعاهدات الى مابعد انتهاء الحرب. وفيما يختص بادارة البلاد الداخلية عليّ ان اذكر سموكم ان حكومة جلالته طبقاً لتقاليد السياسة البريطانية قد بدأت على الجد بالاتحاد مع حكومة البلاد وبواسطتها في ضمان الحرية الشخصية وترقية التعليم ونشره وانماء مصادر ثروة البلاد الطبيعية والتدرج في اشراك المحكومين في الحكم بمقدار

ما تأذن به حالة الامة من الرقي السياسي . وفي عزم حكومة جلالته المحافظة على هذه التقاليد بل انها موقنة بان تحديد مركز بريطانيا العظمى في هذه البلاد تحديداً صريحاً يؤدي الى سرعة التقدم في سبيل الحكم الذاتي . وستحترم عقائد المصريين الدينية احتراماً تاماً كما تحترم عقائد نفس رعايا جلالته على اختلاف مذاهبهم ولا أرى لزوماً لان اؤكد لسموكم ان تحرير حكومة جلالته لمصر من ربقة اولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية في الاستانة لم يكن ناتجاً عن أي عداء للخلافة فان تاريخ مصر السابق يدل في الواقع على ان اخلاص المسلمين المصريين للخلافة لا علاقة له البتة بالروابط السياسية التي بين مصر والاستانة وان تأييد الهيئات الاسلامية في مصر والسير بها في سبيل التقدم هو بالطبع من الامور التي تهتم بها حكومة جلالة الملك مزيد الاهتمام

وستلقى من جانب سموكم عناية خاصة ولسموكم ان تعتمدوا في اجراء ما يلزم لذلك من الاصلاحات على كل انعطاف وتأييد من جانب الحكومة البريطانية . وعليّ ان

ازيد على ما تقدم ان حكومة جلالة الملك تعول بكل اطمئنان على اخلاص المصريين ورويتهم واعتدالهم في تسهيل المهمة الموكولة الى قائد جيوش جلالته المكلف بحفظ الامن في داخل البلاد ومنع كل عون للعدو — واني انتهز هذه الفرصة فاقدم لسموكم اجل تعظيماتي ؟

تحريراً في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤

(ميلن شيتهام)

وهذا نص الامر الكريم السلطاني الصادر لصاحب الدولة حسين رشدي باشا

عزيزي رشدي باشا

ان الحوادث السياسية التي وقعت في هذه الايام ادت الى بسط بريطانيا العظمى حمايتها على مصر والى خلو الاريكة الخديوية . وبهذه المناسبه ارسلت الحكومة البريطانية الينا رسالة نبعث بصورتها اليكم لنشرها على الامة المصرية موجهة فيها نداءها الى ما انطوى عليه فؤادنا من عواطف الاخلاص نحو بلادنا لكي نرتقي عرش الخديوية المصرية بلقب «السلطان»

وستكون السلطنة وراثية في بيت « محمد علي » طبقاً لنظام يقرر فيما بعد . وقد كان لنا بعد ان وقفنا حياتنا كلها الى اليوم على خدمة بلادنا ان يكون الاخلاد الى الراحة من عناء الاعمال مطمح انظارنا . الا اننا بالنظر الى المركز الدقيق الذي صارت اليه البلاد بسبب الحوادث الحالية قد رأينا مع ذلك انه يتحتم علينا القيام بهذا العبء الجسيم وان نستمر على خطتنا الماضية فنجعل كل ما فينا من حول وقوة وقفاً على خدمة الوطن العزيز هذا هو الواجب المفروض علينا لمصر ولجدنا المجيد « محمد علي الكبير » الذي نعمل على تخليد الملك في سلالته

وبما فطرنا عليه من الاهتمام بمصالح القطر سنوجه عنايتنا على الدوام الى تأييد السعادة الحسية والمعنوية لجميع اهاليه مواصلين خطة الاصلاحات التي بدىء العمل فيها — ولذلك ستكون همة حكومتنا منصرفة الى تعميم التعليم واتقانه بجميع درجاته والى نشر العدل وتنظيم القضاء بما يلائم احوال القطر في هذا العصر . وسيكون من اكبر ما نعني به توطيد اركان الراحة والأمن العام بين جميع السكان وترقية الشؤون الاقتصادية

في البلاد ، اما الهيئات النيابية في القطر فسيكون من اقصى امانينا ان نزيد اشتراك المحكومين في حكومة البلاد زيادة متوالية ونحن على ثقة باننا في سبيل تحقيق هذا المنهاج سنجد لدى حكومة صاحب الجلالة البريطانية خير انعطاف في تأييدنا ، واننا لموقنون ان تحديد مركز الحكومة البريطانية في مصر تحديداً واضحاً بما يترتب عليه من ازالة كل سبب لسوء التفاهم يكون من شأنه تسهيل تعاون جميع العناصر السياسية بالقطر لتوجيه مساعيها معاً الى غاية واحدة ، واننا لنعتمد على اخلاص جميع رعايانا لتعضيدنا في العمل الذي امامنا

ولوثوقنا بكمال خبرتكم وبما تحليتم به من الصفات العالية واعتماداً على وطنيتكم نطلب منكم مؤازرتنا في المهمة التي اخذناها على عاتقنا وندعوكم بناء على ذلك الى تولي رئاسة مجلس وزرائنا والى تأليف وزارة تختارون اعضاءها لمعاونتكم وتعرضون اسماءهم على تصديقنا العالي ونسأل الحق جلت قدرته ان يبارك لنا جميعاً فيما نبتغيه من نفع الوطن وبنيه ؟ حسين كامل

تحريراً في ٢ صفر سنة ١٣٣٣ و١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤

وهاك جواب دولة رشدي باشا لصاحب العظمة السلطانية

مولاي

اقدم لسدة عظمتكم السلطانية مزيد الشكر على ما اوليتموني من الشرف السامي اذ تفضلتم عليّ بامركم الكريم الذي فوضتم به اليّ تأليف هيئة الوزارة — ثم انني كنت وكيلاً عن ولي الامر السابق ولكنني مصري قبل كل شيء. وبصفتي مصرياً قد رأيت من المفروض عليّ ان اجتهد تحت رعايتكم السلطانية في ان اكون نافعاً لبلادي ، فتغلبت مصلحة الوطن السامية التي كانت رائدي في كل اعمالي على جميع ما عداها من الاعتبارات الشخصية لهذا اقبل المهمة التي تفضلت عظمتكم السلطانية بتفويضها اليّ ولما كان زملائي بالامس الموجودين الان بمصر متشربين بنفس هذه العواطف وهم لذلك مستعدون للاستمرار على معاونتهم لي فانني اتشرف بان اعرض على تصديق عظمتكم السلطانية رفق هذا مشروع المرسوم السلطاني بتشكيل

هيئة الوزارة الجديدة واني بكل احترام واجلال لعظمتكم السلطانية

العبد الخاضع المطيع

تحريراً في ٢ صفر سنة ١٣٣٣ المخلص

١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ حسين رشدي

واليك نص المذكرة المرفوعة لعظمة السلطان بهيأة الوزارة المصرية الجديدة :

حسين رشدي باشا وزير الداخلية مع رئاسة مجلس الوزراء
اسماعيل سري باشا للاشغال العمومية والحربية والبحرية
احمد حلمي باشا للزراعة
يوسف وهبه باشا للمالية
عدلي يكن باشا للمعارف
عبد الخالق ثروت باشا للحقانية
اسماعيل صدقي باشا للاوقاف

وقد صدر المرسوم السلطاني باقرار هذه الوزارة الجليلة ولا تسل عن مبلغ سرور جميع طبقات الامة المصرية بهذا

التغيير السياسي وما يترتب عليه من الفوائد السياسية والادبية والاقتصادية . فاما عن بسط الحماية البريطانية على وادي النيل فقد قضى المصريون زمناً يتسألون عن حقيقة مركز بلادهم السياسي بين امم الارض فلا يجدون جواباً شافياً يجيبون به . فاما وقد بسطت بريطانيا العظمى جناحيها على هـذا الوادي الخصيب . فقد ثبت للناس ان وراءهم اقوى دولة متمدنة على وجه الارض لا تغيب الشمس عن علمها تحمى ظهورهم من غـدر الغادرين واعتداء الطامعين ، اضف الى ذلك ما يترتب عليه من الفوائد الجلى ، من ذلك وضع الثقة المالية في المصريين وعدم تزعزعها في الخارج كما كان يحصل قبلاً . الثاني فان انجلترا ستعمل على رواج التجارة والصناعة المصرية اسوة بباقي مستعمراتها واملاكها الواسعة ويهمها ان ترى البلاد المصرية غنية بمالها غير مدينة لسواها ، وما عهدنا بالشركات البريطانية التي تؤسس في القطر هذه الايام لترويج التجارة المصرية ببعيد ، الثالث احترام المصريين الادبي في نظر الامم الاخرى بجوازات السفر التي يحملها المصريون الى البلدان الاخرى . انما هي جوازات

بريطانية محترمة مرعية لدى حكومات الارض طراً واليك النص الوارد في الجوازات المصرية الجديدة للسلطنة المصرية بهذا المعنى « على موظفي السلطنة المصرية كما هو المرجو من وكلاء دولة بريطانيا العظمى في البلاد الاجنبية وسائر ذوي الشأن ان يأذنوا لحامل هذا الجواز بالمرور بدون معارضة وان يشملوه بحمايتهم ويؤدوا له كل مساعدة يكون في احتياج اليها »

اما عن زوال السيادة التركية فاول كلمة يجب ان تقال بحق ان قد رفع من على عاتق المصريين مبلغ ٦٦٥٠٤١ جنيه مصري كانت تدفعها الخزينة المصرية سنوياً الى الحكومة العثمانية بصفة « اتاوة » مقابل منحها اياها « السيادة » . فهل كان رجال الحكومة العثمانية احراراً غير مستعبدين من اسيادهم الالمان حتى كانوا خليقين ان يسودوا على الامة المصرية الكريمة ؟ ! وهل ظلت الحكومة العثمانية حافظة لكيانها محترمة لدى الامم الاخرى حتى يحتفظ لهم المصريون بهذه « السيادة » ؟ ! وهل من الانصاف ان تظل بلاد بلغت من

الرقي والعمران شأواً بعيداً ولا توجد اية رابطة ادبية او
اقتصادية تربطها بدولة الترك اللهم الا المغارم ما بين آن وآخر
وما سمعنا باية فائدة عادت على مصر من « سيدتها » تركيا
يوماً ما حتى تبقى لها على هذه السيادة الى ابد الابدين! كلا والف
مرة كلا فقد كفى مصر وابناءها ما لاقوه من دولة الترك
فيما سلف مما لا يزال ذكره يتردد على ألسنة الكثيرين من
ابناء النيل الذين سامهم الترك الخسف والهوان فيما مضى من
الايام فيقيسون بين الماضي والحاضر فيرون الفرق شاسعاً
والبون عظيما

اما عن خلع سمو عباس حلمي باشا وتنصيب عظمة
مولانا السلطان الكامل سلطاناً على مصر فذلك مما نترك
الحكم فيه للتاريخ والمنصفين من المطلعين على ماجريات الامور .
فها هو عظمة مولانا السلطان حسين الاول وكلنا نحن
المصريين نعرف تاريخ حياته المجيدة فلم نر له صحيفة غير مملوءة
بالفضل والجد والجود والاحسان . وهذه ايام ملكه السعيد
ايام رخاء وهناء رغم الحرب الاوربية وويلاتها ووقوف حركة

الاعمال في بلاد الدنيا وايقاف كل عمل على الجيوش المحاربة في ميادين القتال فان بلاده وقد نشر فيها الامن نصابه بدرجة لم ير لها نظير في السنوات الماضية والاراضي تخرج خيراتها والمحاصيل تباع وتبتاع كما يريد الزارع ويهوى ، والمصانع في حركة دائمة وجيش العاطلين الذي ظهر في ابان الحرب قد تفرق شمله ونال حظه من العمل ، والتف حوله شعبه التفافاً يشف عن اخلاص صادق وحب مكين ، وقد فاضت مراحم عظمته فنالت دور العلم من عطاياه الجزيلة الشيء الكثير وكذا الجمعيات الخيرية والمستشفيات ونحوها مما جعل السنة الامة تنطق بحمده وتدعو له بدوام ملكه

اما عن ميول عظمته السياسية فهي من اصدق ما يميل اليه النبلاء ذوي النفوس العالية المجردة عن الهوى والوطنية الحقة الصحيحة فلقد حظى الدكتور هربرت آدم جيبون مراسل جريدة نيويورك هرالد بالتشرف بالمثول بين يدي عظمته فنقل ما دار من الحديث بينه وبين عظمة السلطان .

قال عظمته مشيراً الى الترك والالمان والانكليز « ان الحكم

التركي مبغوض كما كان في عهد جدي المرحوم « محمد علي باشا »
ثم قال « اذا اعتقد الالمانيون ان المصريين يرحبون بالعودة الى
الحكم التركي وانا نهب لاستقبال الترك باعتبار انهم منقذونا فان
الالمان في غاية من الحمق والجنون . لان الاتراك لا يجيئون
الا لاذلالنا . نحن ننظر الى الانكليز نظرنا الى اصدقاء يدافعون
عنا وانا لموقنون انه لولا الانكليز لانقرضنا في العام الماضي .
ان الانكليز اليوم مثلهم بالامس نعمة وهبها الله المصريين .
واني انظر بارتياح تام الى جميع الوسائل التي اتخذت للدفاع
عن شعبي وبلادي . ولي بهذه الوسائل كل الثقة لان بريطانيا
العظمى ستدافع عن مصر حتى النهاية من اجل مستعمراتها
ولن تدخرَ مالاً او رجالا في هذا السبيل » ثم قال : « اني
لم اكن لاقبل عرش هذه السلطنة لولا حبي للانكليز وميلي
الى هذه الامة الكبيرة الحرة التي ساواصل الاشتغال معها
في ترقية شعبي ادبياً واقتصادياً . لقد علمتني التجارب ان
الانكليز اصدقاء حقيقيون لاسرتي وشعبي وسأعمل معهم ما
داموا واثقين باخلاصي . ولولا هذه الثقة المتبادلة لتركت العرش

من زمن » انتهى

وان لفي هذه الصراحة العالية التي توخاها عظمة سلطان مصر لاكبر دليل على ماهذه الامة النبيلة من الايادي البيضاء والاثر الحسن الذي مثلته على مسرح التاريخ المصري وفي كل العالم الذي استفاء بظل رعايتها الوارف الظليل . فلقد رأينا ما كان يصيب الامة المصرية من الادواء الفتاكة والمظالم الكثيرة وهضم ذوي الحقوق حقوقهم قبل احتلال الحكومة البريطانية لها فمن قارن بين الحركة العلمية والادبية والاقتصادية والاجتماعية الفى ان البون شاسع والفرق بعيد . فلكم تمتع الغني بثروته الطائلة آمناً شر الضرائب الفادحة . ولكم اقيمت دور العلم ما بين صناعية وتجارية وزراعية وعلمية . ولكم استتب الامن فاصبح الناس آمنين على اعراضهم واموالهم . وان نظرة واحدة للرجل المنصف بغير ما تحيز تثبت له بعد نظر عظمة السلطان وقراءته المستقبل وما سيتحقق ان شاء الله للامة المصرية على يده وعلى يد الحكومة البريطانية الجليلة من التقدم الزاهر والرقي الباهر . ولاريب ان نفساً كنفس

السلطان اكبر من ان تحابي لا سيما وقد اشتهر عنه الصدق في القول وبعد النظر في الامور . وقد بنى حكمه هذا بعد الاستقراء وما رآه بعيني رأسه في بلاد تركيا — وقد سافر اليها مراراً واختلط بكبرائها وعظمائها من الساسة واختبر احوال رعاياها ومعاملتها العناصر الكثيرة المحكومة بها . ناهيك مقامه في عالم السياسة وممارسته للاحوال الاقتصادية والاجتماعية زماناً طويلاً ، ولقد رأينا منه قبل تبوئه العرش تحقيق هذه النظرية فهو ابو المصريين وأعرف الناس بفائدتهم وارتقائهم وهنا امر نكتفي به بالايماء عن التطويل وبالاشارة عن العبارة ، فالشمس لا ينكر ضوءها الا اعمى . والحق الصراح لا يماري فيه الا كل معاند دنيء . حقق الله الآمال على يديه وانال المصريين ما يبغونه من التقدم والفلاح في ظل ملكه السعيد .



﴿السير جون جرانفيل مكسويل﴾

الحملة التركية على مصر

وكان أمر الحملة التركية على مصر امراً معروفاً من قبل لدى الحكومة البريطانية فاخذت للامر عدته وارسلت من كماتها الابطال جيشاً قام بما فرض عليه حق قيام فشتت شمل الاتراك واسر جانباً من جنودهم في حال رثة توجب الاشفاق عليهم بعد ان اتلف مهماتهم الحربية واستولى على « قواربهم وكباريهم » وتركهم في البيداء تحت وابل من نار المدافع وقيظ الصيف في الصحراء فلم يستطع جيش الترك ثباتاً امام هذه الحال فتراجع وتقدم مرة بعد اخرى حتى اكرهه حماة القنال على الفرار من وجوههم الى داخل الصحراء وقد كان الاتراك قد استولوا على مدينة العريش واقاموا حولها تحصينات منيعة واستحكموا فيها ففي صيف عام ١٩١٦ اشتبكت الجنود البريطانية مع الاعداء في موقعة « الروماني » المشهورة وجرى قتال رائع بين الفريقين اسفر عن انتصار البريطانيين انتصاراً باهراً حيث مني الاتراك بخسائر فادحة

ما بين قتلى واسرى واتلاف مهمات غير ماغنمه البريطانيين من معدات القتال وكانت النتيجة ان تراجع الاتراك نحو قرية « رفح » الكائنة على حدود فلسطين والمجاورة لمدينة العريش الى ان شرع البريطانيون في الهجوم على العريش والاستيلاء عليها فابتدأت الجنود البريطانية في الزحف شرقاً وقد قطعوا نحواً من ثلاثين ميلاً حتى دنوا ليلاً من العدو الذي كان لا يزال نائماً وبعد معركة شديدة دامت يوماً كاملاً فازوا على الاتراك الذين لبثوا حتى آخر دقيقة يتعللون بوصول النجدات اليهم . وفعلاً فقد كان هناك نجدات لا تقل عن ثلاثة آلاف من المشاة لا تبعد عنهم اكثر من ثلاثة اميال من « رفح » وقد كانت حامية العريش تتوقع الهجوم عليها وكانت قد انشأت الخنادق الحصينة فزادت مناعة موقعها الطبيعي وجعلت مركز الدفاع بلدة صغيرة واقعة على مسافة ميلين الى الجنوب الغربي من رفح . وكان للاتراك فضلاً عن خطوط خنادقهم المتعددة ستة حصون وعدة حفر قد اخفوا فيها مدافعهم السريعة

وفي ٨ يناير ١٩١٧ عند الغروب زحفت فرقة من الجنود

الاسترالية والنيوزيلندية الراكبة وجنود الهجانة واليوماري ومعهم بطاريات التريتوريال وبطارية من المدافع الجبلية وسار الجميع شرقاً حتى وصلوا الى نقطة معينة انقسموا فيها فسار الفرسان في طريق مختصرة وسارت المدافع في الطريق التي انشأها الاتراك — وظل الفرسان يواصلون سيرهم حتى وصلوا الى موقع يقال له « كرم ابن مصلح » وهو واقع على بعد خمسة اميال الى جنوبي رفح على الحدود الفاصلة بين مصر وسوريا. وهنا انفصل النيوزيلنديين عن رفاقهم واتجهوا في الساعة الرابعة صباحاً ليحدقوا بالعرب النازلين في « الشيخ الصوفي » وينزعوا منهم السلاح خيفة ان يزعجوا ساقتنا . وقد تمكن جنودنا من انجاز هذه المهمة قبل بزوغ الفجر . ثم شرع النيوزيلنديون في القيام بحركة التفاف نحو « رفح » من جهة الشرق . وزحف الاستراليون عليها من جهة الجنوب الشرقي بينما كانت الهجانة تتقدم من الجنوب . وبعد قليل بدأ الهجوم فاجتاز النيوزيلنديون الهضاب الخضراء الموصلة الى رفح ولم يستطع العدو ان يقاومهم طويلاً فسلم ووقع بعض جنوده اسرى في ايدي النيوزيلنديين

وفي جانب آخر من مجابته شمالاً شرقاً نحو « خان يونس »
ولكن هؤلاء ايضاً لم يلبثوا ان سقطوا اسرى . ثم اتجه
آلاي من النيوزيلنديين الى جهة الشرق لحماية جناح البريطانيين
ومراقبة حركات العدو وقد ثبت بعدئذٍ ان ذلك كان عين
الحكمة والصواب لانه بعد الاستيلاء على المدينة تمكن
النيوزيلنديون من الالتفاف والوصول الى حيث اصبحوا
يهددون ساقة العدو . وقد ظلوا يقلقونه مدى اليوم كله —
واندفع رجال المدفعية من جنود التريتوريال بشجاعة واقدام
عظيمين واحتلوا مراكز كانوا معرضين فيها لنيران مدافع
العدو الجبلية التي اخذت تمطرهم وابلاً من القنابل . وترجل
جنود المدفعيات الاخرى وزحفوا الى الامام مظهرين رباطة
جأش غريبة وكان بعضهم متأبطين مدافعهم السريعة . وفي
الصباح وصلت الطيارات فانبأت بان العدو اخذ يتخلى عن
مراكزه القريبة ليعزز مراكزه الجنوبية فصدر الامر الى جنود
اليومانري بالهجوم من جهة الغرب بمساعدة بعض جنود
الانزاك والهجانة وكان منظرهم وهم هاجمون على خيولهم على

مراكز العدو من ابدع المشاهد واعظمها اثارة للنخوة . اما جنود الهجانة فواصلوا الزحف حتى وصلوا الى نقطة معينة واصبحوا على مرمى بنادق العدو. ثم ترجلوا عن جمالهم وشرعوا في الهجوم مشياً على الاقدام على ان تقدمهم كان بطيئاً لان الارض كانت مكشوفة وهم معرضون لنيران الاعداء الحاصدة

والحق ان مراكز الاتراك كانت منيعة جداً وكانت مدافعهم السريعة بيد رماة مدربين من الالمان ولهذا كانت نار تلك المدافع محكمة ، وفي الساعة الثالثة بعد الظهر بدأت احدى بطاريات البريطانيين التي كانت تؤيد جنود اليومانري باصلاء الاعداء ناراً حامية ، وساعدها في ذلك مدافع فرقة الاتراك فاسكتت مدفعين من مدافع العدو ، وكانت نيرانها محكمة جداً كما ثبت من حالة الخنادق بعدئذ فان العطل الذي احدثته فيها كان هائلاً ، على ان مدافع الاتراك لم تخمد بل ظلت تصلي مشاة البريطانيين ناراً حامية وفي تلك الساعة انبأ الالاي الذي كان يراقب حركات العدو شرقاً ان نجدة من جنود الاتراك قد غادرت الشلال الواقعة على بعد ١٥ ميلاً الى شرقي «رفح»

وانها زاحفة على جناح السرعة وكان البريطانيون قد بدأوا الهجوم فارسلوا بعض الجنود الكشافة نحو الطريق الموصلة الى الشلال وخان يونس ، ففي الساعة الرابعة والنصف انبأ هؤلاء الجنود بان قوة من العدو تتراوح بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ رجل قادمة لانجاد العدو في رفح وانها قد اصبحت على مدى ثلاثة اميال ، واذ رأى القائد الانكليزي حرج الحالة وادرك ان قوات كبيرة من جنود الاعداء زاحفة على ساقته رأى انه لا بد له من القيام بعمل حاسم في الحال . فأمر النيوزيلنديين فاندفعوا على امنع قسم من خنادق الاتراك اندفاع السيل الجارف، وهجم الايان من الجنود الاوستراليه من جهة الجنوب الشرقي فاستولوا على الهدف الذى كانوا يرمون اليه وهجم جنود الهجانة ايضاً من الجنوب الغربي بينما كان جنود اليومانري يشددون الهجوم من جهة الغرب فلم يسع العدو الا التسليم بعد ان اصيب بخسارة فادحة . وفي اثناء ذلك كان الالاي الذي يحرس الجناح الشرقي يقوم باتمام مهمته خير قيام ، فانه رابط للعدو في شبه هلال وحال دون تقدمه الى ان تم الاستيلاء

على مساكن رفح ثم انقض عليه فاكرهه على التقهقر وبذلك تم النصر للجنود البريطانية على حدود مصر الشرقية بعد الاستيلاء على العريش ورفح. وانتهى الدور المخزي الذي مثله صبية الترك على قناة السويس والحدود الشرقية ، وكان نصيبهم من العالم اجمع المذلة والصغار ، حتى انه بينا كانت الوقائع تجرى على ضفة القناة اليسرى لم نسمع بان اجهل رجل بين المصريين اخذه الرعب والخوف بل كان الجميع يهزأون بهذه الحملة وبقائدها واثقين من ثبات الجيش المدافع عن القناة وقوته. وفي الوقت نفسه كانوا يذكرون للترك فظائعهم وسوء اخلاقهم واستبدادهم وانتهاكهم للاعراض وغير ذلك مما سطره التاريخ في بطونه من قديم الزمان ، وان مصر وابناءها لمدينون بتلك الدماء الذكية التي سفكت على ضفاف قناة السويس لرد غارة هؤلاء الغازين المتبربرين الذين ما جردوا حملتهم هذه الا لفكرة النهب والسلب والسبي وتدمير المدن والبلدان وطمس معالم المدنية والعمران واحلال الظلم والقسوة والاستبداد محل العدل والحضارة وصيانة حقوق الانسان ثم ان النيل والحرمين

سيظلان شاهدا عدل على ان ابناء السكسون قد جادوا بدمائهم الطاهرة في سبيل الدفاع عن كيانهما وعدم تدنيس ارضهما المقدسة باقدام اولئك الذين لا يعرفون للانسانية معنى ولا للمدنية قيمة ، وسوف يسجل التاريخ هذه الشهادة بين صحائفه البيضاء الناصعة لينعم النظر فيها المنصفون من ابناء الاجيال القادمة فهو اعدل الشاهدين

ومما يستحق الذكر ان جناب الجنرال السير جون مكسويل قائد القوات البريطانية دعى رئيس واعضاء الجمعية التشريعية في اول مارس سنة ١٩١٦ لزيارة المناطق الحربية حول قنال السويس والاسماعيلية لمشاهدة اعمال التحصين التي اقامها البريطانيون شرق القنال فاقلهم قطار مخصوص من العاصمة وهناك رأوا ما اطلق السنتهم بالاعجاب والاطراء وقد قام احد الطيارين ألانكليز في احدى الطيارات ذات السطحين وحلق فوق هيأة الجمعية التشريعية والقى كتاباً باللغة العربيه هذا نصه

« حضرات رئيس الجمعية التشريعية واعضائها »

بكل احترام ابلغكم سرور قومندان وضباط قسم

طيارات جلالة ملك بريطانيا العظمى بمنطقة قنال السويس لتشريفكم هنا وارجو ان تكونوا مسرورين ، رافقتكم السلامة في الحل والترحال واقبلوا في الختام مزيد احترام الجميع »

الاسماعيلية في اول مارس سنة ١٩١٦

وقد عاد رجال الجمعية التشريعية وقلوبهم مفعمة سروراً وجزلاً مما شاهدوه من وسائل التحصين والدفاع عن بلادهم بفضل همة ابطال البريطانيين التي ستبقى ناطقة على مدى الاحقاب بمآثرهم وجميل صنيعهم نحو ساكني وادى النيل

ثم حدث ان جناب القائد العام للجيوش البريطانيه رأى ان اعمال التحصين القائمه شرق قنال السويس تحتاج لمعاونة جدية وايد عاملة كثيرة فعرض الامر على معالي وزير الحربية المصرية وطلب امداده ببضع فرق من رجال الرديف المصرى للمساعدة في تنظيم اعمال التحصين هناك على وجه السرعة فلم يسع معالي الوزير الا ان رفع في ١٩ يناير سنه ١٩١٦ مذكرة لمجلس الوزراء قال فيها «اتشرف ان اعرض على مسامع المجلس ان قائد عموم القوة البريطانيه بمصر يشتغل الان بتنظيم

فروع التسهيلات اللازمه للدفاع عن قنال السويس وانه يطلب امداده بطائفة من رجال الرديف المصري للعمل في تلك الفروع الخ » فأقره الوزراء ثم صدر القرار الوزارى الآتي:

نحن وزير الحربية

بناء على المادة ١٠٧ من الامر العالي الصادر في ٤ نوفبر ١٩٠٢ وبعد ترخيص مجلس الوزراء قررنا ما هو آت)

جميع الانفار الموجودين بالرديف ما عدا المستخدمين منهم بمصالح الحكومة مطلوبون للخدمة العسكرية بمقتضى هذا القرار

وزير الحربية

٢٠ يناير ١٩١٦

اسماعيل سرى

هذا وقد توهم البعض وظن — وبعض الظن اثم — ان الحكومة ستؤلف من هؤلاء جيشاً يخوض المعامع وينازل الاعداء فى ميادين القتال . وذهب بعضهم الى ان عدد الانفار المطلوبين يربو عن الثلاثمائة الفاً !! الى غير ذلك من الاضاليل والاراجيف على ان السلطة العسكرية قد اكتفت من هؤلاء الانفار باربعة عشر الفاً واتبعت في معاملتهم معاملة استثنائية

يخالف ما تقضي به القوانين العسكرية المصرية . فضاعفت أجورهم واحسنت في معاملتهم ونقدت اهليهم بمبالغ مالية قبل ان يغادروا بلادهم وقدمت اليهم طعاماً ارق مما يقدم للجنود في الجيش المصري وكسى تخالف المألوف في النظامات العسكرية المصرية . ناهيك ان اعمالهم في مناطق القتال هينة لا مشقه فيها وهي لا تجاوز تمهيد الطرق والمساعدة فى بناء التحصينات . وكان فى وسع السلطة العسكريه ان تعرض هذه الاعمال على طوائف الفعلة المصريين فيقبلون عليها بارتياح . غير ان رغبتها فى سير الاعمال بنظام عسكري يكون اتم وأوفى بالغرض والسرعة التي كانت تتطلبها تلك الاعمال فى ذلك الحين . وبذلك ثبت للمصريين صدق وفاء البريطانيين ومحافظتهم على العهود التي قطعوها للامة المصرية وعظمة سلطانهم فى بادىء الحرب من حيث عدم تكليف الاهالي باية مساعدة عسكرية فى ميدان القتال غير الاخلاد الى الهدو والسكينة والمحافظه علي استتباب الامن فى البلاد

وقد خلف الجنرال مكسويل في قيادة الجيوش البريطانية في القطر المصري والدفاع عنه الجنرال السير ارشيبالد مري وهو من خيرة القواد البريطانيين المشهورين بالخبرة في فنون القتال ولين العريكة ودماثة الاخلاق فقابل المصريون تعيينه بمزيد الارتياح والسرور وقد سار على خطة سلفه الرشيد من الاعتدال في معاملة المصريين والسير في احكامه بمنتهى العدل والرفق مما الهج الالسن بالثناء عليه والمدح الجزيل

وفى ٥ نوفمبر ١٩١٦ أعلن ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى عينت الجنرال السير ريجنالد ونجت باشا سردار الجيش المصري وحاكم عموم السودان فى وظيفة القومسير الاعلى فى القطر المصري التي يشغلها السير ارثر هنري مكماهون موقتاً وقد اعلن ان التغيير المذكور يجري فى آخر السنة . وفى ٢٠ ديسمبر ١٩١٦ وصل فخامة ونجت باشا الى القاهرة قادماً من الخرطوم — وقد وقع اختيار الحكومة البريطانية لفخامة القومسير الجديد لدى المصريين وقعاً حسناً لان فخامة ونجت باشا لا تقل مكانته فى قلوب المصريين ومحبتهم له عن المأسوف



الجنرال السير رجنالد ونجت
(النائب الحالي لجلالة ملك بريطانيا العظمى)
في مصر

عليه لورد كتشنر فاتح السودان وصديق جناب القومسير البريطاني الجديد وتاريخ حياة جنابه معروف من قبل لدى جميع المصريين فهم يجلونه ويحبونه من قديم

فلا بدع اذا استبشرت الامة المصرية على يديه الخير والتقدم والنهوض بها الى درجات الكمال فى مستقبل الايام وارتقت الى ذروة المجد فى جميع أمورها ومرافقها فما قام به جنابه من الاصلاح والرقي المتواصل فى بلاد السودان مما يسطر له بالذهب فى بطون التاريخ ويشعر المصريين بانهم سينالون امانيهم وآمالهم على يد ذلك المصلح الكبير ان شاء الله



الجنرال السير ارشيبالد مرى

القائد العام للجيوش البريطانية في مصر



السير ا . ر هنرى مكماهون

النائب السابق لجلالة ملك بريطانيا العظمى

في مصر

على حدود مصر الغربية

ما كادت الاذهان تخلو من ذكر خيبة آمال الاتراك فى حملتهم على القطر المصري من جهة حدود مصر الشرقيـة فى الاول من بدء هذه الحرب وأوبتهم بالفشل والخسران حتى سمعنا بما هو ابلغ وانكى مما كان مع الاتراك . ذلك ان جماعة من الاعراب الضاربين على حدود مصر الغربية من عرب برقه وواحة جغبوب قاموا فى وجه رجال الحكومة المصرية فاضطرت الحكومة البريطانية ان تأخذ الاهبة وتتخذ من التدابير العسكرية لصد هؤلاء العربان الاغبياء عن غيهم الأُلى ساقتهم دسائس الالمان وتمويهاتهم الى لقاء حتوفهم . وقـد ظن بعضهم — وبعض الظن اثم — ان هناك حملة تزيد عن جيوش الحلفاء فى جميع الميادين عدداً من حفاة الاقدام مسلحة باحدث أنواع الاسلحة وأن لديها من المدافع الضخمة المريعة ومن الطيارات المستحدثة ما لا سمعت به اذن ولا رأت عين .

وان هناك من كبار قواد الجيوش قوّاداً شديدي البطش والعزيمة قد وقفوا في وجه الجيوش الانكليزية المدافعة عن الحدود المصرية ، فعلى هذا الزعم الباطل بنى الجهلة وذوي الاغراض السافلة ظنونهم ، على اننا يمكننا القول ونحن على ثقة تامة انه اذا كانت الحكومة البريطانية قد اعارت مسألة الحملة التركية التي فشلت نوعاً من الاهتمام فانما كان ذلك نظراً لحماية قناة السويس واهمية هذه القناة في نظر انكلترا كما لا يخفى ، اما اليوم وليس امامهم سوى جماعات من اهل البادية اجهل من الدواب ، بطونهم خاوية ، وقلوبهم مفعمة بدسائس الالمان لم يألفوا الحروب الحديثة ولا يدرون الطريق الذي هم اليه مسوقون فلم يبق ثمة شك ان هؤلاء الجياع لا يلبثون بضعة أسابيع على هذه الحال حتى تنضب موارد رزقهم ولا اقول ما لديهم من النذر القليل من معدات القتال التي لا تصلح الا لمقاتلة العصابات لا لمنازلة جيوش من ارقى الجيوش وانظمها واوفرها عدداً وعدداً ، وقد ابتدأت المعركة الاولى في ١١ ديسمبر ٩١٥ حيث التقت قوة مؤلفة من ثلاثمائة اعرابي

بفصيلة من الجنود المصرية الانكليزية المرابطة على الحدود في جهة مرسى مطروح فدارت رحى القتال بين الفريقين واسفرت عن قتل عدد يربو على ثلاثة ارباعهم واسر بعض رؤسائهم ، غير انه لسوء الحظ قد ذهب في هذه المعركة ضابط من ارقى الضباط البريطانيين الموظفين في خدمة خفر السواحل المصرية ، ونعني به المأسوف عليه كثيراً الميرالاي سينو بك ، فقد غدر به اعرابي لئيم بينما كان المرحوم يحاول اقناعه بالتسليم اولى من سفك دمه ، وقد وقع خبر استشهاد سينو بك اسوأ وقع ليس في نفوس البريطانيين فقط بل في نفوس جميع المصريين وبعض العربان الموالين للحكومة المصرية نظراً لما اشتهر به سينو بك من رقة الجانب وحسن المعاملة مع الجميع . وقد كانت المعركة الثانية التي وقعت يوم ٢٤ ديسمبر ١٩١٥ أشد هولاً على العربان فقد أبلت فيهم الجنود البريطانية بلاء كبيراً اذ سقط منهم اكثر من ثلاثمائة قتيل وعدد كبير من الاسرى ، وفي ٣١ منه صدر بلاغ رسمي بان القوات البريطانية احتلت « مرسى مطروح »



جعفر باشا

قائد القوات السنوسية على حدود مصر الغربية

أُخذ اسيراً في واقعة ٢٩ فبراير سنة ١٩١٦

وفي ١٨ يناير ١٩١٦ اصدرت الحكومة الايطالية امرها لاهالي طرابلس الغرب المقيمين الان في القطر المصري والموالين لها بمنع السفر الى مياه طبروق ومرزوق وبني غازي وطرابلس الغرب بسبب القتال الناشب بين البريطانيين والسنوسيين

وفي يوم ٢٩ فبراير ١٩١٦ دخل الانكليز عند الساعة الثانية بعد الظهر « سيدي براني » التي كانت في قبضة العدو منذ ثلاثة شهور دون ان تحدث مقاومة ، وقد اسر في هذه الموقعة الرائعة جعفر باشا القائد العام ونهاد بك وسامي بك من اركان حربه واليوزباشي سنوسي عبدالله والملازم احمد مختار واربعة وعشرون آخرون

وقد ابى كرم الانكليز الا ان يتركوا للقائد التركي سيفه وقد كان هذا القائد اصيب في ذراعه اليمنى باصابة خطرة فنقل الى مستشفى الاسرى العسكري حيث عومل اكرم معاملة حتى شفي من جرحه — وفي ٢٠ مارس الصقت السلطة العسكرية في شوارع الاسكندرية اعلانا هذا نصه :

« كل من ورد أو حاول ان يورد المواد الغذائية أو غيرها من البضائع الى السنوسيين او وكلائهم يقع تحت طائلة العقوبة بالاعدام ، وكل من وجد متجهاً الى الغرب ومعه المواد الغذائية او المؤن او البضائع ما يدل التقدير على انه يتجاوز حاجته الشخصية او حاجة المسافرين معه يعتبر كأنه آخذ تلك المواد الغذائية او الامتعة برسم السنوسيين أو وكلائهم ما لم يقم الدليل على عكس ذلك »

وفي ١٤ مارس احتلت القوات البريطانيـة « السلوم » بقيادة الماجور جنرال « بيتون » وقد سلّم الشيخ هارون شيخ زاوية هارون نفسه وابتدأ رؤساء القبائل يفدون طائعين طالبين العفو والصفح

وفي ٨ فبراير ١٩١٧ جرت الموقعة الفاصلة الحاسمة بين البريطانيين والسنوسيين كان للاتومبيلات المدرعة البريطانية الفضل الأكبر فيها واليك نص ذلك البلاغ الرسمي :

مصر الجمعة في ٨ فبراير ١٩١٧

« ختم جنودنا الحرب مع قوات السنوسي العسكرية

الـكبرى ختاماً موفقاً فقد وقفنا على مكان هذه القوات اخيراً
في واحة سيوه والواحات المجاورة لها . وفي صباح ٤ فبراير
عثرت القوة البريطانية التي كانت مؤلفة كلها من الاتوموبيلات
المدرعة على قوة جيش العدو الـكبرى مرابطة في موقع منيع
حصين جنوبي « عزيه » الواقعة غربي سيوه وعلى بعد ١٥
ميلاً منها وذلك بعد ما اجتازت نحو ٢٠٠ ميل مجدة في
الصحراء — وكانت قوة العدو مؤلفة من نحو ٨٠٠ مقاتل
مسلحين بالبندقيات فهاجمتهم قوتنا حالاً وقاتلتهم في معركة
ظلت رحاها دائرة ٢٠ ساعة واسفرت عن انهزام العدو تحت
جنح الظلام بعد ما دمر كمية كبيرة من ذخيرته ومهماته واضرم
النار في خيامه

وكان السيد احمد السنوسي الاكبر في سيوه حين
ابتدأت المعركة فلما سمع اطلاق البندقيات غادرها حالاً الى
« شياته » (الواقعة الى الجنوب الغربي من عزيه وعلى مسافة
عشرة اميال منها) مع محمد صالح قائد قواته العام . ولما دخلت
القوة البريطانية الواحة رأت ان العدو تخلى عنها فاستقبلها

الاهالي باعظم مجالي التأهيل والترحيب

وبين غربه وجغبوب مضيق واحد تستطيع الجمال اجتيازه وهو مضيق المناسيب غربي غربه وعلى بعد ٢٤ ميلاً منها وكان فريق من قواتنا قد احتل هذا المضيق وأسر فيه قافلة للعدو قادمة من الغرب وبعد ذلك بقليل وقعت الطلائع من فلول العدو الذين كانوا منهزمين من غربه في كمين بهذا المضيق أما قوة العدو الكبرى التي كانت مع السيد احمدفقد اضطرت بعد ما رأت رجالنا محتلين للمضيق الى التنكيب عن الطريق المطروق حتى تفلت من يد قواتنا وتنجو منها واكرهت على السير جنوباً في كثبان رمل مرتفعة ومفازة لا ماء فيها . وغني عن البيان ان اقتفاء اثر العدو بالاتومبيلات في تلك الجهة حيث ترتفع الكثبان الى علو ٥٠٠ قدم لم يكن مستطاعاً لسؤ الحظ

وقد اسفرت هذه الاعمال الحربية الموفقة عن ضرب الدعوة السنوسية ضربة شديدة فان قوة السنوسيين الكبرى أُخذت على غرة وكسرت شر كسرة وسيق الذين دلوا منها

الى صحراء لا ماء فيها وبلغت خسارتهم مئتي قتيل وجريح على اقل تقدير بينهم خمسة ضباط عثمانيين . اما خسارة البريطانيين فكانت يسيرة جداً . وغنمنا كمية كبيرة من المهمات وذخيرة المدافع والبندقيات وعدداً من الجمال والحمير ومدفعاً سريعاً ومائتي بندقية

وقد صحب الملحق العسكري الايطالي القوة البريطانية وشهد القتال كله بناء على طلب القائد العام :

وعقب ذلك النصر المبين تقرر انشاء محافظة جديدة مصرية تسمى « محافظة الغرب » وتشمل حدودها من الشمال في الحدود المصرية الغربية مراكز مرسي مطروح والضبعة وسيدي براني وواحة سيوه » ومن الجنوب الواحات البحرية وواحتا الفرافره الملحقة بمديرية اسيوط وتعين اللواء هنتر باشا مدير مصلحة خفر السواحل محافظاً لها مع بقائه في منصبه الحالي

هذا ولا ريب ان اولئك العربان الاغرار سوف يسلمون انفسهم طائعين ويخضع رؤساؤهم وتفشل دسائس مؤجريهم ويرتدوا على اعقابهم خاسرين ، فذلك الدور المخزي المحزن

الذي اراد الالمان ان يمثلوه على حدود مصر الغربية ولم يتقوا
الله في ارواح اولئك السذج الذين يطوحون بهم في التهلكة
بلا شفقة ولا رحمة طبقاً لاغراضهم وجرياً وراء مآربهم السافلة
لم يفلحوا فيه وسوف يسجل التاريخ على تركيا وسيدتها المانيا
ما يترتب على دسائسهم من سفك الدماء وازهاق ارواح —
ولا بد ان يكون قد ادرك كبار الزعماء ان بلادهم قد وقعت
في ورطة نتيجتها بلاء محقق وفناء عاجل ، لان تلك الصحراء
ومركزها الجغرافي لا يحتاج الى ايضاح قد تملكتها ايطاليا
بحراً وتحدها البلاد المصرية من الجهة الشرقية ومعلوم ان تلك
البلاد لا تستورد ارزاقها ولا تورد متاجرها وهي قاصرة على
الاغنام والابل والاصواف الا مع البلاد المصرية — اما وقد
خرقت حرمة الجوار بغير موجب فان مصر سوف تحاسبها
على هذه السيئة في مستقبل الايام ولا لوم عليها فان البادي
بالشر اظلم ولا يظلم ربك احداً :



الدسائس في السودان

وقد كانت الحكومة البريطانية كذا على علم بما كان يجرى في الخفاء من الدسائس في السودان وما كان ينويه «علي دينار» سلطان دارفور من الانتقاض على الحكومة المصرية الانكليزية هناك فاخذت للامر عدته ، وفي ٢٣ مارس سنة ١٩١٦ صدر بلاغ رسمي جاء فيه ما يأتي « بالنظر الى سلوك سلطان دارفور غير المرضي وتحديد الحكومة علناً في سلطتها استحسن ان يزحف الجند الى دارفور وان تحشد في النهود قوة مختلطة مؤلفة من جميع الاسلحة في الجيش المصري يقودها الليفتنت كلونيل « كلي بك » قومندان الخيالة المصريه. وقد غادر قسم من هذه القوة النهود في ١٦ مارس سنة ٩١٦ و ٢٠ و ٢١ منه قاصداً الآبار الكائنة في « ام مشيخه » « وجبل الحلة » باقليم دارفور وكانت الواقعة على مقربة من الحدود الفاصلة . وقد لقى مقاومة خفيفة في « جبل الحلة » ولكنه رد المقاومين بسهولة وبدون خسارة مطلقاً. وقد وصلت القوة

كلها الان الى جبل الحلة وستبقى هناك في الوقت الحاضر لنجاحها في تحقيق الغاية الاولى من غاياتها وهي منع الاضرار بموارد الماء الموجودة بين النهود والحدود ولأن هذين المكانين « ام شيخة وجبل الحلة » يعدان موقعين عسكريين مهمين في الطريق الرئيسية الممتدة بين النهود والفاشر بعاصمة دارفور

وفي ١٢ ابريل احتلت القوة اللاحقة بجيش الليوتنان كولونل كلى « الابيض » في الساعة الثامنة صباحاً ، وبذلك صار في حوزتهم كل موارد الماء في الطريق الذاهبة الى النهود والفاشر عاصمة درافور ، وفي ٢٧ مايو سقطت الفاشر عاصمة دارفور وفي فجر يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩١٦ جرت موقعة رائعة بين الجنود البريطانية المصرية ورجال سلطان علي دينار بقيادة المأجور هودلستون دارت فيها الدائرة على السودانيين وقتل فيها « علي دينار سلطان دارفور » مع اخص انصاره فكانت هذه الواقعة هى آخر الوقائع الفاصلة وأهمها تأثيراً اذ عقد فيها النصر النهائي للبريطانيين والمصريين

وقد ارسل فخامة الجنرال السير ريجيلند ونجت باشا تلغرافاً

للحضرة العلية السلطانية مبشراً بهذه النتيجة الباهرة فهنأه عظمته بالتلغراف الآتي :

القاهرة في ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٦

سررت جداً باستلام تلغرافكم أمس المنبيء بالنصر الجديد الذى احرزه الجيش المصرى قرب « جبل مره » وان هذه الحملة الاخيرة لحسن الحظ اتمت فتح دارفور بعد ان قضت القضاء المبرم على « علي دينار » وانه ليجدر بي ان اهنئكم تهنئة خالصة على هذا الفوز المبين وعلى الحركة العسكرية التي قمتم بها لاحراز هذه النتيجة الباهرة وأملي ان تبلغوا تهانيّ الى القائمقام هودلستون بك والضباط وصف ضباط والجنود الذين تحت قيادته حسين كامل

وبذلك الفتح المبين تم النصر للجيش المصرى الانكليزى وقضى على الدسائس التي بثها اعوان السوء في السودان وباءوا بخسران مبين

كيف يعامل اسرى الاعداء
في مصر

يحق للتاريخ ان يكتب بمنتهى الفخر والاعجاب ويدون ما يستحقه الشعب الانكليزى من اطراء واكبار لتلك الخلال الكريمة والمروءة السامية في معاملة اسرى الاعداء، فقد شاهدنا باعيننا ما يتمتع به اولئك الاسرى من راحة ونعيم وبسطة في العيش لم يحلموا بها حين كانوا تحت تصرف حكوماتهم التي تقذف بهم الى الموت الاحمر والعذاب الاليم ، فالمعتقلون الملكيون يعاملون اكرم معاملة ويتمتع ذووهم بزيارتهم من آن لاخر ، واسرى الحرب تقدم لهم الملابس المناسبة والاطعمة الطيبة والفراش اللائق ويتمتعون من آن لاخر بالتجوال في شوارع المدن ومصايفها عند اشتداد القيظ في ايام الصيف بين اكرام حراسهم وحسن معاملتهم ، وليس ادل على ذلك من الهدايا التي تقدم لهم بين حين وحين من الامراء والسراة ورجال السلطة العسكرية انفسهم واليك صورة كتاب ارسله

جناب متولي اعمال وكالة حكومة الولايات المتحدة الامريكية بمصر الى جناب مفتش المواصلات العام للجيش البريطاني بمصر

وكالة اميركا السياسية بمصر

في ٢٩ يوليو ١٩١٦

عزيزي الجنرال الثام

جاءتني مذكرتكم بتاريخ ١٤ يوليو الحالي وقد تكرمتم فاذنتم فيها لي بزيارة الضباط العثمانيين الاسرى في معتقل سيدي بشر يوم الجمعة ١١ يوليو الحالي وقابلني فيه قائده الميجر كولس وقد تكرم فطاف بي في المعتقل كله وقدمني الى كبار الضباط الاسرى فتحادثنا بمل الحرية — واسمحوا لي ان اهنئكم بالتدبيرات البديعة التي عملتموها لراحة هؤلاء الاسرى ، فان معتقلهم يصح ان يكون نموذجاً للمصايف فهو على مدى بضع يردات من البحر والاستحمام في البحر مباح لهم جميعاً والخيام المنصوبة في بنائه الظليل والمنطاة بالحصر تظل دائماً مبردة بنسمات البحر البليلة والابنية الجديدة الملحقة به للطبخ والاكل مرضية جداً ، ووسائل التطبيب والتمريض تامة كاملة وحمامات الماء العذب

مرشحاتها على احسن ما يكون والتدابير الصحية جيدة للغاية ويظهر ان الضباط العثمانيين مبتهجون بهذا المكان وراضون كل الرضى بالتدابير التي اتخذت لراحتهم وفضلا عن ذلك فقد اذن لهم جيماً بان يستخدم كل منهم جندياً «مراسلة» من الجنود العثمانيين الاسرى

هذا ولم يعرض على الاسرى شكاية وكل ما اقترحوه عليّ بشأن معتقلهم والمعاملة التي يعاملون بها فيه مقتصر على طلب اعطائهم امتيازات معينة في التنزه والتسلية ونحو ذلك مما يزيل عنهم السآمة الناشئة عن الاسر ، وقد اتخذ الميجر كولس الاجرآات اللازمة لتحقيق مطلبهم واطلعهم عليها فسروا بها — ويسرني ان انبئكم بان العلاقات الودية التي بين الميجر كولس والضباط العثمانيين الاسرى والتي ستظل كذلك بدون حط من كرامة او اخلال بنظام حسنة جداً وتفضلوا الخ م

المخلص لكم

باول نابنشيو

متولي اعمال الوكالة الاميركية بمصر

وفي هذا الكتاب الجليل شهادة عدل ظاهرة للعيان عما يتبعه القوم في معاملة اسراهم ، ولنضرب لذلك مثلاً — ففي يوم ١٠ يناير ١٩١٦ توفي اسير عثماني في معتقل المادي فاحتفل بتشييع جنازته عسكرياً اشتركت فيه الجنود البريطانية وهم منكسو البنادق واذ واروه التراب اطلقوا على قبره البنادق في الهواء تحية واكراماً ، فانعم بتلك الخلال العالية والآداب الانكليزية السامية حتى مع اعدائهم

وقارن ذلك بما يفعله الالمان باسرى الحلفاء في بلادهم من ضروب القسوة والشدة والظلم والهوان وتسخيرهم في الاعمال الشاقة بغير رحمة ولا شفقة بقلوب قدت من الصخور الصماء لا تلين ، وعندنا الجرائد فهي لسان صدق والحكومة الاميركية وهي محايد عادل فهل قرأ القاريء مرة مثل هذا الخطاب من قنصل اميركا الجنرال في برلين او في بلاد الدولة العثمانية او بلاد النمسا ؟؟ لا اخال الجواب الا بالسلب

ان في ذلك لآية بالغة وحكمة رائعة على البينونة الكبيرة في الاخلاق وحسن المعاملة فليس أدل على الخلق من مقياس

المعاملة وفيما بيناه لسان صدق يلهج بالثناء على انكلترا النبيلة العادلة دولة الحرية والسلام والرحمة والشفقة والانسانية المجسمة والانصاف ، وانا لنترك للتاريخ ان يسجل لها صحيفة بيضاء في بطونه . وسيجزي الله المنصفين خير الجزاء

الاحكام العسكرية في مصر

قلنا ان الاحكام العسكرية قد اعلنت في البلاد نظراً لحدوث الحرب الاوروبية ولان مركز مصر كان على وشك التغيير السياسي . ولكن هل استأثرت السلطة العسكرية بكل شيء في البلاد وانتزعت السلطة من يد حكومة البلاد الملكية؟ كلا : فقد صرح جناب القائد العام للجيوش الانكليزية انه ليس القصد من الاحكام العسكرية هو التدخل في شؤون السلطة الملكية . بل هو معاونتها على استتباب الامن وحفظ النظام ولاعتبارات سببتها حالة الحرب الحاضرة . ففي البلاد الاخرى حيث تحكم بالقوانين العسكرية لا ترى آثاراً لروح

القانون بل ترى كل شيء يحكم بالقوة والعسف كما هو الحال في سوريا . فاستبداد السلطة هنالك قد بلغ حد الظلم الفادح . فمن ضرائب لا تطاق ومن سلب اموال ، الى سجن عظماء الرجال واعدام بعضهم ومصادرة املاكهم الى تسخير الاهالي المكلفين في حفر الخنادق وتمهيد الطرق وصنع الملابس للجنود واعداد مهماتهم الى غير ذلك من انواع القسوة والوحشية . وفي المانيا ترى الحكومة قد تداخلت في كل شيء حتى في تقرير ما يتناوله الافراد من الغذاء وفي ما يصح ان يقضونه من الراحة من عناء الاعمال وتقرير ساعات الفراغ والاحتفاظ بما لديهم من الحاجيات المعيشية وتحديد ساعات السهر الى غير ذلك من ضروب الجور والاستبداد . اما الحال في مصر فعلى النقيض التام فالحكومة المحلية هي القائمة بشؤون البلاد كان لم يتغير شيء وغاية ما تصدره السلطة العسكرية من الاوامر لا يتعدى تحذير الاهالي من التشيع لاعداء البلاد او احداث قلاقل تعود عليهم بالضرر او التستر على اشخاص معادين للحكومة وقد فروا من امامها ومنع بيع المشروبات الضارة

كالابسنت واغلاق الحانات التي كانت سبباً في ضياع عقول
كثير من المصريين ابتداء من الساعة العاشرة مساء وعدم سرقة
مهمات الجيوش البريطانية وغير ذلك من الامور التي عادت في
الحقيقة بالفوائد على ابناء البلاد . وما سمعنا ان السلطة العسكرية
تدخلت في شؤون الخاصة سواء كانت دينية او مالية أو
شخصية او انتزعت شيئاً من مرافقنا بنوع من الانواع وان
شئت تعرف اين ذهب جيش العاطلين من المصريين الذي
ظهر في بادىء ايام الحرب فسل السلطة العسكرية التي امدتهم
بالاعمال واغدقت عليهم الاموال فبدل بؤسهم وشقاؤهم بخير
ونعيم . فكم من عائلات فقيرة ما كانت تحصل على قوت
يومها قبل الحرب اصبحت اليوم تلعب بالمال وذلك بفضل
انصاف السلطة العسكرية وحسن صنيعها ورفقها بابناء البلاد .
وليس ذلك عجيباً في اخلاق الانكليز فتلك الخلال الحميدة
والخصال الكريمة مأثورة عنهم من قديم الزمان . وما سمعنا
ان انكليزياً ارتكب شططاً او اتى تعسفاً في اي بلاد بل المشهور
عنهم الحلم وطول الاناءة والمجاملة والصفح لدى الاساءة وغير

ذلك من مكارم الاخلاق

واذا جاز لنا ان نتكلم كلمة حق في هذا المقام وجب علينا ان نقول انه ليس من المروءة في شيء ان ينتهز مثل هذه الظروف الاستثنائية بعض من لا خلاق لهم من ابناء البلاد للايقاع بسواهم لدى رجال السلطة العسكرية ، ولو اننا على يقين ان المكر والخديعة لا ينطليان على أولي الامر منهم فاننا نلحي باللائمة على فئة اخرى من المصريين ساعدتها الظروف فيما مضى حتى حصلت على شيء من التقرب والحظوة لديهم فأساءوا الى المخلصين من ابناء البلاد واوقعوا بهم لديهم ، وفي هذا الخطر كل الخطر اذا أقصي المخلصون وحل محلهم المنافقون والبلاد لا زالت تسير وسط ظروف استثنائية كما اسلفنا هي احوج لمساعدة أبرّ الابناء من ان تكون طوع اشارة ماكر منافق أو ممالق مماذق ، ويقيننا أيضاً ان ترهات امثال هؤلاء لا تجوز على أحد من الحاكمين ، وإنا لنرجو من كل مخلص يرجو الخير لبلاده ان يضم صوته الينا ويسأل الله ان يقرب أيام الصفاء والسلام على وجه الارض فقد كفى ما حل بالعالم

من الويلات والمصائب الكبار فقد ضجت الانسانية مما ترى من فتك الانسان باخيه الانسان وهدم صروح المدنية والعمران في كل مكان جرياً وراء مطامع بشرية لا شك انها تزول ولا يبقى الا ما يسجله التاريخ من اعمال الامم . وسيجزي الله كل قوم بما قدمت ايديهم ان خير خيراً وان شر شراً



سلوك الجنود البريطانيين مع الاهالي

لنترك ذكر الفوائد المادية والادبية الجليلة التي اتاها الجنود البريطانيين في القطر المصري ورواج حركة كثير من المتاجر المصرية . ونذكر شيئاً مما تركه هؤلاء الجنود البواسل من مكارم الاخلاق وسمو المبادىء ولو كان في ذكر بعضها شيء من الفكاهة الاخلاقية ، فمن ذلك ان بضعة عشر من الجنود الاسترالية في العاصمة شهدوا زفة عروس وطنية في ميدان باب الحديد وامامها الموسيقى والمهللون . فاصطفوا اثنين اثنين وأخرج كل منهم صفارته من جيبه واخذوا يصفرون قطعاً موسيقية جميلة حتى وصلوا بالعروس الى منزلها في حي القبيسي وهناك جلسوا مع المدعوين على « الدكك » وشربوا القهوة ثم عزفوا بالنشيد الملكي وودعوا بكل حفاوة واكرام — وفي صباح اليوم الثاني جاءوا الى منزل العروس وفي يد كل منهم هدية من الحلوى او الزهر

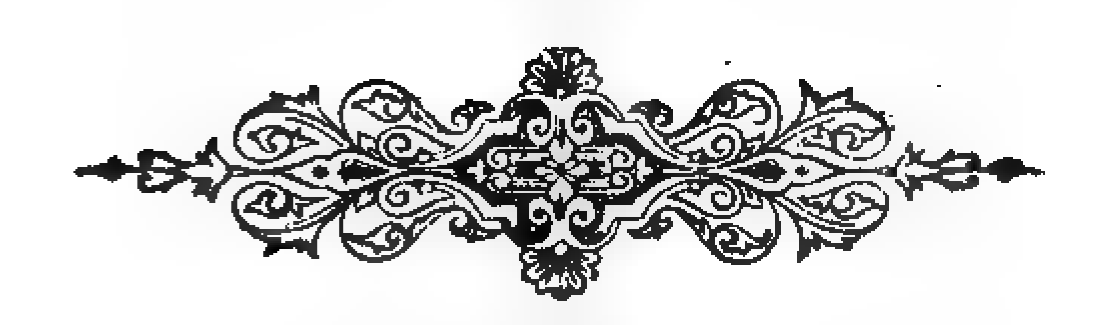
وكذلك فقد اشتهر رجل من اعيان الوطنيين في

الاسكندرية بحبه وميله الى البريطانيين حتى انه كان معروفاً لدى الكثيرين من عظماء انكلترا وقد تعارف بطائفة من الجنود والضباط وارتبط معهم باواصر الود والولاء . فحدث ان توفي ذلك الرجل فكان يرى اكثر المعزين في سرادق المأتم من رجال الجيش البريطاني ضباطاً وجنوداً وهم خاشعون اثناء تلاوة القرآن الشريف يرددون مناقب الفقيد بعبارات الاسى والاسف ويتوجعون لفقده ولم ينقطع احدهم عن الحضور ايام المأتم الثلاثة حتى انفضاضها مما جعل ذلك حديث الحاضرين واعجاب الجميع بمكارم اخلاق اولئك الابطال وعظيم شعورهم ووفائهم

وحدث مرة ان تألب اثنان من الجنود وهم في حالة سكر على حوذي وطني لانه طلب منهما اجراً يزيد عن حقه فرآهما اثنان آخران من الجنود فاخذتهما المروءة والشفقة على ذلك الحوذي المتعنت ودفعا اليه ما طلبه ، وصرفاه لحاله بعد ان عنفا ذينك الجنديين على فعلهما

وحدث ايضاً ان باعة الغاز استبدوا في الجمهور وتعنتوا في

المبيع في احد شوارع الهيليوبوليس فما كان من بعض الجنود الا ان ابعدوا الحوذي عن عربة الغاز واخذوا يبيعون للجمهور ما يطلبه من الغاز ويقبضون الثمن ثم اخذوه لمركز البوليس حيث حاسبوه على ما باعوا به وسلموه ما جمعوه من النقود ، فاكتسبوا ثناء الجمهور العاطر على تلك المروءة النادرة والهمة العاليـة



حوادث تاريخية ذات شأن

« الهلباوي وشمس الدين »

لولا ان التاريخ له حكم على الكاتبين ، ونحن في مؤلفنا هذا بمثابة المؤرخ الذي عليه ان يدون وليس له ان يحذف ، لولا ذلك لما طاوعنا القلم ان يخط حرفاً في تاريخ «مصر الحديثة» بشأن ذلك الحادث الجلل الذي اقدم على ارتكابه في مدينة الاسكندرية شابان اخذ منهما الغرور والطيش كل مأخذ فعقدا النية على ارتكابه بلا شفقة ولا رحمة ، اقول انهما لم يشفقا على شبابهما ولم يرحما وطنهما فكادا يوقعان به افدح نكبة واكبر مصاب ويوديان به الى التهلكة ويورثان ابنائه ذلة وصغاراً مدى الايام ، ذلك ان شابين وطنيين احدهما يدعى محمد شمس الدين والآخر يدعى محمد نجيب الهلباوي وكلاهما في الثانية والعشرين من عمره اولهما من طلبة مدرسة التجارة بمصر والثاني كان مدرساً في مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية في الثغر

اتفقا فيما بينهما على الحاق الاذى بشخص الحضرة العلية السلطانية بان استأجر احدهما منزلا في شارع رأس التين بالاسكندرية وتولى الثاني القاء قنبلة ديناميتية على الموكب السلطاني اثناء مروره من الشارع المذكور ولحسن حظ مصر والمصريين ولأن المقصود به الاذى من أبر الملوك والسلاطين واطهرهم قلباً واعدلهم بين العالمين ، لم تشأ الارادة الصمدانية ان تمتد اليه يد السؤ بشرّ ، وارتد كيد الخائنين في نحورهم ، وقد قامت البلاد وقعدت لهذا الحادث واشتغلت دوائر الحكومة باستجلاء غوامض هذه الكارثة المريعة حتى توفرت ادلة الاجرام ضد هذين الشابين الخائنين ولم يبقَ محل للريبة فى ادانتهما على جرمهما الفظيع ، وفى يوم ٥ مايو ٩١٦ تشكلت فى دار محكمة الاستئناف الاهلية بالعاصمة محكمة عسكرية كبرى لمحاكمتهما فاستمرت المحكمة تسمع اقوال الشهود وتحقق وتدقق بما اشتهر به العدل الانكليزي اكثر من اسبوعين — وفى ٣٠ مايو سنة ١٩١٦ قضت عليهما المحكمة العسكرية بالاعدام

غير ان المراحم السلطانية أبت ان ينفذ ذلك الحكم الذي اعتبره الجميع عدلاً نظراً لفظاعة الجرم ، فتفضل عظمة السلطان الكامل بان بعث بالكتاب التالي الى صاحب الدولة رشدي باشا وهو بنصه :

عزيزي رئيس مجلس الوزراء

لو ان حكم الاعدام على محمد نجيب الهلباوي ومحمد شمس الدين صدر من محكمة مصرية لكنت استعملت حقي في العفو عنهما ، فاكلفكم بالوساطة باسمي لدى قائد القوات البريطانية لاستبدال هذه العقوبة بغيرها لانه يعز علي كثيراً ان يكون نصيبهما الحد الاقصى من العقوبة التي فرضها القانون ، فما هما سوى ضالين تملكتهما الغواية ولابد انهما قد ادركا اليوم فظاعة الاثم الذي اقدما عليه وأسفا جد الاسف على السيئة التي اقترفاها لما رأياه من استهجان امتي لعملهما الشنيع »

حسين كامل

وقد بعث صاحب الدولة الرئيس للقائد العام الكتاب التالي بناء على تلك الرسالة السلطانية الكريمة

سيدي القائد العزيز

ابادر بابلاغ جنابكم صورة التوقيع الشريف الذي صدر لي من صاحب العظمة السلطانية ويهمني ان اقول ان الحكومة المصرية تشترك بجميع جوانحها في هذه العاطفة الشريفة من لدن عظمته . لان هذين الفتيين قد دفعهما نزق الشباب وفساد الرأي فارتكبا ذلك الجرم الفظيع دون ان يدركا حقيقة الحال فلقد اغوتهما حداثة سنهما على اقتراف تلك السيئة من غير ان يفكرا في العواقب ويفقها ان عملهما هذا انما هو اشنع جناية على الوطن الذي زعما انهما يخدمانه ، وتفضلوا يا جناب القائد العزيز بقبول فائق الاحترام

رئيس مجلس الوزراء

حسين رشدي

وقد رد جناب الجنرال على دولة الرئيس بالجواب الاتي:

سيدى الرئيس العزيز

طبقاً لرغبة صاحب العظمة السلطانية قد ابدلت عقوبة الاعدام المحكوم بها على محمد نجيب الهلباوي ومحمد شمس

الذين بعقوبة الاشغال الشاقة مدى الحياة ، وتفضلوا يا سيدي الرئيس بقبول فائق احترامي

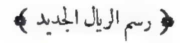
القائد العام
للقوات البريطانية بمصر

ارشبالد مري

وقد كان ذلك ختام تلك المأساة المؤلمة التي منيت بها البلاد في تلك الاوقات العصيبة ولا تسل عن شكر جميع الاهالي للعزة الالهية بنجاة عظمة سلطانهم المحبوب من كيد اولئك الخونة المارقين ، وانا نكل الحكم للقراء المنصفين ، فهذا ما لم نعرفه في التاريخ من ان مليكاً يعتدى عليه ويصفح الصفح الجميل ولا نستطيع ان نقول اكثر من ان الفارق الوحيد بين الانسانية المجسمة والنذالة والوحشية ان سلطاناً منصفاً بل ملاكاً سماوياً طاهراً برهن برحمته وشفقته على مكارم اخلاقه ونبل شرفه ونفسه بنسبة ما برهن هذان المجرمان الاثيمان على حقارتهما ودناءة نفسيهما ، وهذا هما المقياس والميزان الدقيقان اللذان يثبتان لك بالحق الذى لا جمجمة فيه الفرق بين نفوس الملائكة المطهرين ودناءة نفوس الابالسة والشياطين :

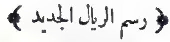
﴿ العملة المصرية الجديدة ﴾

ولما كانت العملة المصرية المتداولة في البلاد منذ عهد طويل موسومة باسم سلطان تركيا فاما وقد زالت السيادة التركية من البلاد واصبحت مصر في حكم البلاد المستقلة بذاتها عرضت حكومة عظمة سلطان مصر على الدولة الحامية رغبتها في ضرب عملة مصرية بحتة باسم مليك البلاد لتحل محل العملة المصرية القديمة فلم تر الحكومة البريطانية بداً من اجابة الحكومة المصرية لما طلبت ، وفي ١٦ فبراير سنة ١٩١٦ أرسل متولي اعمال الوكالة البريطانية في مصر كتاباً الى صاحب العظمة السلطانية يبدى فيه ارتياح حكومة جلالة الملك الى رغبة حكومة عظمته بشأن العملة المصرية وموافقتها على ضرب عملة مصرية بحتة باسم عظمته ، ومنذ ذلك الحين شرعت الحكومة في جمع العملة الفضية القديمة واحلال الروبية الهندية مكانها مؤقتاً وحددت لها سعراً رسمياً لمداولتها في الاسواق المصرية بسعر ستة قروش ونصف صحيحة وأوصت المعامل الهندية بضرب العملة المصرية الجديدة . وفي ١٨ اكتوبر سنة ١٩١٦ صدر





(موسوماً باسم عظمة السلطان)
(حسين الاول)





(موسوماً باسم)
(السلطنة المصرية)





(موسوماً باسم عظمة السلطان)
(حسين الاول)



(بقيمته)
(المتداولة)

مرسوم سلطاني يتضمن عشرين مادة بتداول العملة المصرية
الجديدة في الاسواق . ثم اخذت تلك العملة ترد من البلاد الهندية
الى القطر المصرى تباعاً وتتداول في البلادين المصرية والسودانية
ثم اخذت العملة الهندية تسحب رويداً رويداً كلما ورد جانب
من العملة المصرية الجديدة من الهند لتحل محلها في الاسواق

ولا ريب ان وجود عملة مصرية بحته في البلاد لرمز على
استقلالها وعنوان على مجد الحكومة القائمة بالامر واحترام
لكيانها خليقان بان يقابلا بمزيد السرور والارتياح من جميع
طبقات الامة :

***

﴿ طيارات الاعداء وضرب القاهرة بالقنابل ﴾

كانت اول زيارة مشؤومة لطيارات الاعداء ان حلقت
طيارتان فوق بور سعيد عند الساعة السابعة ونصف من يوم
٨ مايو سنة ١٩١٦ فالقتا ثماني قذائف على المدينة جرحت ثلاثة
من الاهالي واحدثت بعض اتلاف ليست بذات اهمية تذكر .
ثم عادت طيارة اخرى في ١٣ يونيه سنة ١٩١٦ والقت بعض

قنابل في منطقة القنال

غير ان تلك الطيارات لم تقتصر على ذلك بل ذهبت لأ بعد من هذا من ضروب الاعتداء والفظاعة على السكان الآمنين الغير محاربين فما هو الا يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٦ حتى ظهرت طيارة معادية قرب الساعة الحادية عشر صباحاً في جو العاصمة ورمت اربع قنابل على اماكن مختلفة قتلت ٢١ شخصاً من الاهالي المطمئنين بينهم سيدة من فضليات النساء وهي مدام مرزباخ بك المحامي الشهير بالعاصمة ولا تسل عن سخط الاهالي لتلك الفاجعة الرائعة التي ارتكبها اولئك الذين لا يرعون للقوانين والعادات المتبعة في الحرب حرمة

وقد وقع خبر تلك النكبة لدى عظمة السلطان اسوأ وقع فأمر حفظه الله بما خفف من وقع المصيبة من فيوضاته السلطانية ومكارمه السنية ، وقد اتخذت السلطة العسكريه من ذلك الحين الحيطة الواقية من مثل تلك الطوارىء المريعة فأمرت باطفاء انوار القاهرة وارشدت الاهلين الى مواطن الوقاية فيما لو ظهرت طيارة اخرى معادية في جو العاصمة

وبهذه المناسبة استقبل حضرة الشاعر الناثر الاستاذ ولي الدين بك يكن هذه الزورة بأبيات ما فتئنا نرددها كل ما سمعنا بذكر طيارة

ما لنا قوة فنثأر منكم | لا ولا نحن من دعاة الحروب
كان فينا على الضلال اناس | احسنوا الظن فيكم بالغيوب
محق الله جيشكم ورماه | بالعوادي تغوله والخطوب

***

﴿ الطامة الكبرى بفقد لورد كتشنر ﴾

وبينا كان العالم اجمع يتطلع الى المجهودات العظمى التي يبذلها المأسوف عليه اللورد كتشنر في ادارة اعمال هذه الحرب العظمى وينظر باعجاب الى الاعمال الباهرة التي يقوم بها ذلك البطل الكبير الفؤاد في عالم الحرب والسياسة . اذا بشركة روتر تفجع المصريين بنبأ محزن مؤلم لم يكن لاحد ان يتوقعه. ذلك انه في يوم ٧ يونيو سنة ١٩١٦ ورد التلغراف التالي على فخامة نائب الملك بمصر من وزارة الخارجية البريطانية :

« اعلنت رسمياً وزارة البحرية ان جناب القائد العام

للاسطول البريطاني الاعظم يعلن باسف شديد ان البارجة « همشاير » المقلة جناب اللورد كتشنر واركان حربه الى روسيا اغرقت بلغم أو بتوربيد في ليلة أمس في الجهة الغربية من جزر اوركنيس. وكان البحر هائجاً ورغماً عن الوسائل الممكنة التي اتخذت للمبادرة الى اغاثة الركاب فقلما يرجى نجاة احدهم »

فكان لذلك الخبر المزعج رنة حزن واسف شديدين ليس بين البريطانيين فقط بل بين المصريين خاصة لان الفقيد وقد صرف زهرة عمره بينهم في السودان ومصر وجرى على يده كثير من جلائل الاعمال النافعة في القطرين المصري والسوداني خلدت له الذكر العاطر والاثر الذي لا ينسى

وقد قضى المغفور له لورد كتشنر من غير عقب فالقابه ورتبه تنتقل والحالة هذه الى اخيه الاكبر الكولونل هنري اليوت كتشنر فيصبح من نبلاء انجلترا ويلقب بلقب « فيكونت كتشنر » وللورد كتشنر الجديد ولدان ذكر وانثى اما الاول فمن رجال البحرية البريطانية برتبة قومندان اما الثانية فقد اقترنت في سنة ١٩٠٨ بالكابتن وتليو اى بيكت

آخر رسم للمرحوم



(لورد كتشنر)

(بملابسه العسكرية وهو في منصب وزير الحربية البريطانية)

ومما يستحق الذكر تلقاء هذه الكارثة ان احد محرري جريدة الاجيبسيان مايل اطلع على رسالة ارسلها المرحوم الكولونل فتز جرالد الذي غرق بغرق اللورد كتشنر الى احد اصدقائه في مصر قبل اقلاع البارجة همشاير بهم جاء فيها « ان اللورد ك . في صحة جيدة وهو يذكر مصر دائماً »
وهذه الكلمات كتبت قبل وفاة اللورد بثلاثة ايام !! ولا شك ان صورة مصر كانت متمثلة امامه حتى في آخر ايامه وهو لا يدري ما كان خبأه له القدر في لوحه !!

ومما يؤثر ايضاً ان المرحوم قال لعظيم في مصر قبل ان يبرحها بايام قليلة « اني لن ابرح مصر حتى أراها جنة تجري من تحتها الانهار »

وفي هذا دليل ساطع على ان الفقيد كان يتمشق مصر ويتيه في حبها . فاذا حق لها ان تبكيه بدموع حرى فانما تبكي رجلا براً اوقف حياته الغالية على رفعتها وتقدمها وفلاحها، وان التاريخ ليسجل بين صفحاته البيضاء ما قدمه ذلك البطل الانكليزي المظيم واسداه لوادي النيل من جلائل الاعمال

التي عادت على بنيه بالنفع العظيم والخير العميم ما دامت الارض ارضا والسماء سماء

﴿ خاتمة ﴾

هكذا تطورت مصر في الثلاثة الاعوام الاخيرة التطور العجيب الذي اسلفناه في كتابنا هذا ، فانسلخت اولاً من السلطنة العثمانية ، واستقلت ثانياً استقلالاً ادارياً تحت اشراف اعرق امة واعظمها مجداً ، الامة البريطانية النبيلة ، فبات يحكمها سلطان حكيم مجرب . واقامت عليها بريطانية العظمى ولياً . واخذت السلطتان المصرية والانكليزية تتعاونان على اعمال الاصلاح المنشود . فبثتا العدل والانصاف والمدنية . وخطت البلاد رغم الحرب الزبون القائمة خطوات واسعة لم تكن في حسبان الاقتصاديين والماليين . ودخلت الطمأنينة قلوب الاهلين . وبات الفلاح لا يفكر الا في حقله والتاجر لا ينظر الا لارباحه المتواصلة . وظلت المدارس مفتحة الابواب

والاسواق رائجة بفضل الاحتياطات التي اتخذها اولو الامر فغبط مصر كثير من الاجانب الألى ابتليت بلادهم بمصائب الحرب واحنها وأعجب ما يعجب منه ان المصريين لا يكادون يشعرون بفظائع هذه الحرب وويلاتها بما يتمتعون به من خيرات بلادهم وتوفير اسباب الراحة والطمأنينة والفضل كل الفضل يرجع للسلطة الحكيمة المدبرة التي أبت ان تزعج هذا البلد الامين بمزعجات هذه الحرب الضروس ونكباتها . وقد انقطع دابر الفتن والدسائس التي كانت تهدد الديار من حين الى حين بعزيمة القائمين بالامر الساهرين على نفعها وعرف كل مصري الفارق الكبير بين التركي المفسد والانكليزي المصلح . فبات يرتل محامد المصلحين ويتغنى بعدلهم ، احسن الله لمصر وللمصريين في الحاضر والمستقبل انه سميع مجيب

انتهى

